# آثار حضارة الفراعنة

## في حيــاتنا الحاليــة

تأليف

**محرم كمال**

الأمين الأول للمتحف المصري

الكتاب: آثار حضارة الفراعنة في حيـاتنا الحاليـة

الكاتب: محرم كمال

الطبعة: ٢٠١٩

الناشر: وكالة الصحافة العربية ( ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة
جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

APA

E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com



دار الكتب المصرية
فهرسة إثناء النشر

كمال ، محرم
آثار حضارة الفراعنة في حيـاتنا الحاليـة / : محرم كمال
– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.
١٢٦ ص، ١٨ سم.
الترقيم الدولى: ٨ – ٨٤٥– ٤٤٦– ٩٧٧– ٩٧٨
أ – العنوان رقم الإيداع : ١٧٢٣٢ / ٢٠١٨

# آثار حضارة الفراعنة
## في حيـــاتنا الحاليـــة





# مقدمة

تنتشر في كل أمة من الأمم مجموعة من العادات والتقاليد، يزاولها الأفراد في كل وقت كأمر طبيعي سهل ميسور، لا يمكن أن يكون مجالا للبحث والمناقشة، وشأننا في مصر شأن باقي الأمم، فنحن نجد أنفسنا محاطين بطائفة من العادات نراها ونلمسها في كل يوم، منبثة بين طبقات مختلفة من الأمة هي السواد الأعظم من أهل هذه البلاد، بحيث أصبحت هذه العادات والمعتقدات دستورًا عند العامة في المدن وجميع أهالي القرى من الفلاحين والمزارعين.

هذه العادات تترفع عنها تلك الأقلية من المتعلمين في هذه البلاد، فيصفونها بالخرافات، وإذا ترفقوا في الوصف والتعبير سموها بعلم (الركة)، وهم يعنون بذلك فن الترهات والأباطيل والخزعبلات. ولكن هل جشم أحد هؤلاء المتعلمين نفسه فبحث عن أصل هذه العادات والخرافات والمعتقدات بحثًا علميًا وردها جميعًا إلى أصولها القديمة، طبقا لقواعد علم (الفولكلور)؟

الواقع أننا لا نعرف شعبًا في العالم أجمع أشد محافظة من الشعب المصري على تقاليده وعاداته، فقد مرت على مصر أدوار مختلفة من

التاريخ غيرت لغة البلاد ودينها عدة مرات، ولكن الغزوات التي توالت على مصر لم تستطع أن تغير شيئًا مما ورثه الشعب من التقاليد والمظاهر. قد يكون من المحتمل أن آلاف اليونان والعرب الذين استقروا في البلاد قد تمكنوا من إحداث أثر ضئيل في المدن الكبيرة التي استقروا فيها مجتمعين، ولكن باقي البلاد التي تشمل آلاف القرى والدساكر بقيت محافظة على مصريتها الثابتة وتقاليدها القديمة دون أن يعتورها نقص أو تأثر، فالفلاح الحالي لا يزال يشبه أجداده الذين عاشوا منذ أربعة آلاف سنة تمام المشابهة، مع فارق بسيط هو أن الفلاح الحالي قد أصبح يتكلم اللغة العربية ويدين بالإسلام أو بالمسيحية، أما ملامحه وطريقة معيشته وأدوات الزراعة التي يستعملها والمنازل التي يسكنها، والعادات التي يزاولها والتقاليد التي يسير عليها فهي مصرية فرعونية في روحها وشكلها. فما زال الفلاح يعيش هو وماشيته في منازل مبنية من اللبن كما كان يعيش الفلاح في العصر الفرعوني، ومازال يستعمل في فلاحة الأرض نفس المحراث والمنجل والمذراة، وغيرها من أدوات الزراعة التي كان يستعملها أجداده الأقدمون، وما زال يروي أرضه بنفس الشادوف الذي كان يروي الفلاح القديم أرضه به، فإذا جمع محصوله من الحبوب وضعه في صوامع من الطين يقيمها فوق منزله كما كان يفعل الفلاح القديم تماما، وما زال هذا الفلاح الذي نراه اليوم خير خلف لسلفه العظيم في صبره وجلده، يعمل في حقله طول ليله ويكد طول نهاره دون أن يدركه كلل ولا ملل. وهو في وسط فقره يستعين عليه بروح المرح والدعابة. وما زالت السلال والمقاطف

و(الزكائب) التي تعرف (بالشنف) والحبال بل الأنوال التي يستعملها في نسجه، وكذا المغازل هي نفسها أدوات سلفه العظيم.

فهذا الفلاح الذي وصفناه هو الذي حافظ على ما ورثه من تقاليد وعادات ظل يتلقفها من أسلافه، وينقلها وديعة إلى خلفائه جيلًا بعد جيل وقرنًا بعد قرن، حتى وصلت إلينا في صور مختلفة من المعتقدات التي نطلق عليها الآن اسم (علم الركة).



## الفصل الأول

# العادات المصرية القديمة الباقية في مصر الآن

- عبادة الشمس والأشجار.
- القطط والثعابين، والتمساح والقرين.
- الإكثار من الأولاد والنسل.
- التمسك بوظائف الحكومة ومداهنة الرؤساء.
- كره الاغتراب والعزوف عن الهجرة، والتمسك بالمظاهر الكاذبة.
- الإسراف في الولائم والأفراح.
- السحر والعين والحسد، والاعتقاد في الأيام السعيدة والمنحوسة.
- أدوات الفلاح.

## عبادة الشمس والأشجار

من المعروف أن قدماء المصريين كانوا يعبدون الشمس واستمرت عبادتها زمنا طويلًا، ولكن الكثيرين سوف يدهشون عندما أقول أن أثر عبادتها لا يزال ظاهرًا بيننا إلى اليوم. ففي بعض قرى الوجه البحري لا يزال يقسم الأهالي بالشمس فيقولون: "وحياة الشمس الحرة"، وفي جهات أخرى يحلفون بالشمس فيقولون: "وحياة البهية التي تطلع من جبلها". ومظهر آخر من هذه المظاهر يتضح في عادة رمي السن إلى الشمس فيقول الصبي: "يا شمس يا شموسة خدي سن الحمار وهاتي سن الغزال". أما البنت فتقول: "يا شمس يا شموسة، خدي سن الجاموسة وهاتي سن العروسة".

وقد وجدت الشمس عند قدماء المصريين مع الجعل (الجعران) فسميت (خبرع)، وإلى الآن نجد أهالي بعض جهات الصعيد إذا مرض أحدهم بالحمى المسببة عن ضربة الشمس، خاط إلى طرف ثوبه جعلًا ليأخذ الحمى.

وكما كان المصريون يعبدون الشمس، فإنهم كانوا يعبدون أنواعًا مختلفة من الأشجار وخاصة أشجار الجميز. وكانوا يعتقدون أن الآلهة (هاتور) أو (نوت) قد حلت فيها. وفي كثير من الرسوم نرى الميت وقد وقف أمام شجرة برزت منها الآلهة، وهي تقدم له مائدة عليها قرابين مختلفة. فأثر هذه العبادة لا يزال موجودًا في مصر إلى الآن يزاوله كثير من

المسلمين والأقباط على السواء. فشجرة المطرية التي تعرف بشجرة العذراء هي بلا شك خلف لشجرة هليوبوليس المقدسة التي كانت تحل فيها الآلهة ويعبدها المصريون القدماء. وفي إحدى قرى الفيوم شيخ اسمه الشيخ (صبر)، دفن في مكان لا تقوم فيه سوى شجرة كبيرة، يحج إليها كل ذي حاجة يريد قضاءها من أهالي البلاد المجاورة، ويأتي لها المرضى من كل فج عميق آملين الشفاء من أمراضهم، فيدق كل مريض في جذعها مسمارًا يلف عليه خصلة من شعره، فإذا فعل هذا اعتقد المريض أنه سيشفى من مرضه لا محالة. وكذا العاقر إذا فعلت هذا اعتقدت أنها (حاتحبل على طول وتجيب ولد).

فهذه الأشجار –وخاصة الجميز– لا تخلو منها جبانة حديثة في مصر، أو ضريح من أضرحة الأولياء والمشايخ. وتعتبر الشجرة وأغصانها مقدسة، أما أوراقها وفاكهتها فلها قيمة محترمة. ولطالما سأل عامتنا من أولاد البلد من يعرفونه من الأجانب قبل إن يعتزموا السفر ومغادرة البلاد إذا كانوا قد أكلوا جميزًا، فإذا ردوا بالإيجاب استبشروا وتفاءلوا خيرًا وهم يقولون: "كل من يأكل الجميز يرجع مصر ثانية".

وثَم مظهر آخر من مظاهر هذه العبادة، ألا وهو وجود أسماء مدن مصرية حديثة تدل على ذلك، مثلا: الجميزة، السنطة، النخيلة.. إلخ.

**القطط والثعابين والقرين**

وللقطط الآن عند العوام منزلة خاصة، فهم يرعون جانبها ويحسنون معاملتها ويتجنبون ضربها. وهم يعتقدون أن الأرواح والجان يتلبسون أجسام هذه القطط ويظهرون بأشكالها. وتفسير هذه الأفكار والمعتقدات الغامضة هو أن القطط كانت إحدى معبودات المصريين القدماء، يعبدونها باسم الإلهة (باستت).

ويعتقد العوام من الناس أن لكل منزل ثعبانًا يحرسه، فهذا الاعتقاد يرجع إلى أن المصريين القدماء كانوا يعبدون أحيانا ثعبانًا كبيرًا يظنون فيه الخلود، ويعتقدون أنه يسكن حقلًا أو غابة أو كهفًا أو جبلًا يقوم على حمايته، ولدينا بالمتحف المصري تمثال ثعبان وجد بمعبد أتريب (أي بنها الحالية) ووضع هناك لحمايته. أما ما نجده أحيانا معلقًا على أبواب المنازل من تماسيح محنطة، فإن هي إلا بقية من بقايا عبادة هذه الحيوانات في عصر الفراعنة، إذ كان التمساح إلهًا عبدوه وسموه (سبك).

يعتقد العوام الآن أن لكل شخص أختًا تحت الأرض أو قرينة تولد معه، فهذا الاعتقاد ورثناه عن الفراعنة الذين كانوا يعتقدون أن كل شخص له روح أو قرين أطلقوا عليها (كا)، وكانت هذه (الكا) تعيش معه، فإذا مات تبعته إلى المقبرة.

هذه كلمة عاجلة عن المعتقدات، أما العادات فكثيرة لا يدركها حصر، فنقتصر على ذكر أهمها:

## الإكثار من الأولاد والنسل

يحرص الفلاحون في القرى على الإكثار من الأولاد والنسل حتى تكون لهم أسرة كبيرة وذرية، وهم يبكرون في الزواج بدرجة يستغربها الكثيرون، فهذه عادة ورثناها أيضًا عن المصريين القدماء. قال الحكيم المصري (آني) في وصية إلى ابنه:

"اتخذ لنفسك زوجة وأنت صغير؛ حتى تعطيك ابنًا تقوم على تربيته وأنت في شبابك، وتعيش حتى تراه وقد اشتد وأصبح رجلا. إن السعيد من كثرت ناسه وعياله، فالكل يوقرونه من أجل أبنائه".

أفليست هذه العبارة بألفاظها ومعانيها هي التي نسمعها كل يوم من أفواه المسنين من الفلاحين، يوصون بها أولادهم ليل نهار؟

## التمسك بوظائف الحكومة

نعيب على مواطنينا تمسكهم بوظائف الحكومة وتعلقهم بأذيالها ونحتقر قولهم: "من فاته الميري اتمرغ في ترابه"، ولكننا ننسى أو نتناسى أننا ورثنا هذه العقلية عن أجدادنا. فقد ورد في النصوص الفرعونية صورة خطاب كتبه أب لابنه يقول فيه: "بلغني أنك أهملت دراستك وسرت وراء ملاهيك، فهل تريد أن تكون فلاحًا تشق وتكدح؟ لا تكن فلاحًا، ولا تكن جنديًا ولا تكن كاهنًا! بل كن موظفًا يحترمك الجميع ويمتلئ منزلك خدمًا وحشمًا، وتتربع في مجلس الثلاثين إلى جانب رجال البلاط".

ولطالما هزأنا بآلاف الموظفين وما يبدونه من ضروب المداهنة والمصانعة للرؤساء ابتغاء مرضاتهم، ولكننا نسينا أن هذا الداء مولود فينا توارثناه عن الآباء والأجداد. ألم يقل الحكيم (بتاح حتب) الذي عاش منذ خمسة آلاف سنة: "أنحن أمام من هو فوقك، أمام رئيسك في شئون الإدارة الملكية حتى يستمر بيتك مفتوحًا، ويستمر رزقك ومرتبك جاريًا، ولا تعصِهِ فإن عصيان من بيده السلطة شر مستطير"

**العزوف عن الهجرة**

ننادي الآن بالويل والثبور وعظائم الأمور إذا انتقل الموظف إلى جهة بعيدة، ولكن يجب ألا نلام على ذلك، فإن الاغتراب قد ولد فينا كرهه حين ولدنا، وورثناه ضمن التركة التي خلفها لنا الأجداد. ألم يشك هذا الموظف المسكين الذي نقل من بلده منف منذ أربعة آلاف سنة، فكتب يقول: "إني أجلس هنا بالجسم إلى حين تطير روحي إلى منف حتى تطمئن على الأحوال هناك وتستقر. إني أجلس هنا ولست بمستطيع أن أقوم بعمل. أي إلهي (بتاح) احضر إليّ وخذني إلى منف، ودعني أراها حتى ولو من بعيد!"

ثم إن الكثير مما نشكوه من عيوب يجري في دمائنا بحكم الوراثة من آبائنا الأقدمين. فتمسكنا بالمظاهر الكاذبة وما تحتمه من تبذير شديد عيب قديم فينا. ألا تخبرنا النصوص بأن الملك رمسيس الثالث الذي كان يعطي ١٨٥٠٠٠ كيس من القمح سنويًا للمعابد، هو بعينه الملك الذي

كان لا يستطيع أن يرسل خمسين كيسًا من القمح شهريًا لعماله في الجبانة، وقد كانوا يتضورون جوعًا.

## الإسراف في الولائم والأفراح

أما كرم المصريين وإسرافهم في الولائم والأفراح فهما موروثان أيضًا، فلطالما شهدت قاعات منازل الأثرياء في عصور الفراعنة ولائم رائعة، كان يدعى إليها عشرات الصحاب والخلان تتخللها الموسيقى والرقص والغناء. وكان المصريون لا يدخرون وسعًا –كما نفعل اليوم– في تقديم الكميات الوافرة من اللحوم وألوان مختلفة من ألذ أنواع الطعام؛ إذ كانت تقاس عظمة الداعي بكمية ما يقدمه من طعام، فإذا حان وقت الطعام غسل كل مدعو يده قبل الأكل، فكان يتقدم الضيف إلى رجل يصب على يده الماء من إبريق في طست، يشبه كلاهما الطست والإبريق اللذين نستعملهما اليوم كل الشبه، فإذا فرغوا من أكلهم غسلوا أيديهم أيضًا كما نفعل اليوم

أما احتقارنا للفلاح فهو قديم، وقد وردت في رسوم المقابر الفرعونية مئات الرسوم التي تهزأ به وتسخر منه. وكان إذا تأخر في دفع ما على أرضه من ضرائب أتته جباة الأموال، وطرحوه أرضًا وأوسعوه ضربًا بعصيهم حتى يدفع. أفلم يكن هذا هو النظام المتبع في جباية الأموال إلى عهد قريب؟

## عادات الغناء والموسيقى

وهناك مئات من العادات الصغيرة نراها كل يوم دون أن نلقي إليها بالًا، فالمغني البلدي لدينا والمقرئ وهو يتلو القرآن كلاهما يضع إحدى يديه على خده وهو ينشد، فهذه العادة وردت لها عشرات الرسوم في الآثار المصرية القديمة، بل إن نفس الزمارة (المزمار) التي يستعملها المغنون في القرى هي نفسها التي كانت تستعمل في عصور الفراعنة.

## التصفيق بالأيدي

ثم إن التصفيق بالأيدي لمصاحبة الغناء أخذناه عن المصريين القدماء. وكذا (الطرقعة) بأطراف الأصابع عند الرقص ورثناه عنهم أيضًا. وكما كان يفضل المصريون القدماء من المغنين والعازفين من كان أعمى لا يبصر، فإننا لا نزال إلى الآن نفضل من المقرئين من كان كفيف البصر. أما عادة وضع القلم على الأذن التي يزاولها كل يوم مئات من كتبة المحال التجارية والمحصلين وجباة الأموال (أي الصرافين) في القرى والأقاليم، فهي عادة انحدرت إلينا من كتبة قدماء المصريين الذين كانوا يضعون الأقلام على آذانهم.

بل إن عادة إظهار الإعجاب بحسن صوت المغني أو المنشد أو إظهار الفرح العظيم بأن يطوح الشخص ملابسه أو طربوشه في الهواء هي أيضًا عادة مصرية قديمة. فقد ورد في نصوص الأهرام وصف لوصول الملك بعد موته إلى العالم الآخر حيث "وجد الآلهة في انتظاره متدثرين

بملابستهم ومنتعلين نعالًا بيضاء، فما كادوا يرونه حتى ألقوا بملابسهم ونعالهم من الفرح وصاحوا قائلين: إن قلوبنا لم يدخلها الحبور والفرح إلا عند مقدمك".

## ألوان من السحر

أما ما ندعوه الآن بالسحر فقد ورثناه بأكمله عن المصريين القدماء. فقد اشتهرت مصر منذ قديم الزمان بالسحر، وإلى الآن لا تعدم قرية من قرانًا ساحرًا تغدق عليه خيراتها وتضع فيه ثقتها، ويستمتع فيها بنفس النفوذ والثقة اللذين كان ينعم بهما سحرة العصور القديمة.

كان المصري القديم يلجأ إلى الساحر إذا أراد التخلص من عدو، وتخبرنا النصوص أن الساحر كان يعذب هذا الشخص بما يسلطه عليه من أحلام مزعجة وأشباح مرعبة وأصوات مستغربة، بل إن الساحر كان يسلط عليه الأمراض فتنهك قواه وتهد بدنه. وكان الساحر قادرًا على أن يجعل النساء يتركن أزواجهن ويتعلقن بأذيال من يريد الساحر، يطلب في مثل هذه الأحوال لكي ينجح عمله أن يؤتى له بقليل من دم الشخص المطلوب، أو قلامة من أظافره أو خصلة من شعره أو قطعة قماش من ثياب يكون قد لبسها، فإذا حصل الساحر على ما طلب صنع تمثالًا من الشمع بشكل الشخص المطلوب العمل له، ووضع في التمثال أو استعمل في صنعه الأشياء التي أخذها، فإذا تم له ذلك ألبس التمثال ملابس كالتي يرتديها الشخص نفسه حتى يشبهه تمام المشابهة، ثم يبدأ في أن يجري على

التمثال طائفة من الأعمال السحرية، فكان إذا دق مسماراً في التمثال أصيب الشخص بمرض، وإذا قرب التمثال من النار أصابت الشخص حمى خبيثة، وإذا طعن التمثال بسكين قتل الشخص أو جرح، ويظل الساحر يزاول أعماله حتى يقضي على الشخص الذي يريده. وقد ورد في النصوص أن هذا النوع من السحر قد استعمل ضد الملك رمسيس الثالث، ولكنه اكتشف الأمر فقبض على هؤلاء السحرة وصادر ما وجده لديهم من تماثيل الشمع التي صنعت بشكله، (راجع ورقة هاريس البردية السحرية، وورقة تورين البردية القضائية). أفليس هذا النوع من السحر وعمل التماثيل من الشمع أو الطين ووخزها بالإبر والدبابيس هو الذي يستعمله سحرتنا في القرى والأقاليم الآن؟

وليس الأمر مقصورًا في ذلك على القرى والأقاليم بل إن القاهرة نفسها –وهي عاصمة البلاد– تعج بمن يعتقدون فيها بالسحر وقوة فعله. ونحن نورد في هذا المقام فقرة نشرتها جريدة الأهرام في اليوم السابع والعشرين من شهر يناير سنة ١٩٣٥، قالت فيها تحت عنوان: (تشكو من السحر): "... تقدمت فتاة وطنية إلى البوليس تشكو شابًا معينًا بأنه دأب على أن يستعمل لها السحر حتى أقضَّ مرقدها، وطلبت من البوليس أن يحول بين ذلك الشاب وبين أعماله السحرية".

وكل ما لدينا من غرام بالتمائم والتعاويذ والأحجبة، كحجاب الحب والكره والحفظ و(الوقاية)، وآلاف التمائم التي تعلق في رقاب الأطفال حتى تطول أعمارهم، كل هذه إن هي إلا عادات ورثناها عن أجدادنا

القدماء، الذين كانوا لا يسيرون خطوة إلا والتمائم ترافقهم وتحميهم، وزيارة واحدة للمتحف المصري ترينا آلاف التمائم التي استعملها المصريون القدماء.

## عين الحسود

ويقرب من هذا اعتقاد العوام منا اعتقادًا جازمًا بالعين وقوة أثرها، فأنت إذا جلست إلى رجل من العوام حدثك كيف أن هناك فئة من الناس لا تكاد ترى شيئًا تعجب به حتى يحصل له حادث ما. ولنا في ذلك تقاليد غريبة. فإذا توعك طفل عزت أمه انحراف صحته إلى عين الحسود، فتذهب إلى أحد المشايخ، وحينئذ يوعز إليها أن تلتقط الطفل ثم يكتب لها حجابًا ويعطيها قليلًا من (الكسبرة) لتبخر بها طفلها، ثم توضع (الشبة) الزفرة في النار ويطوفون خلال ذلك بالمريض حول النار، وهم يقولون: "من عين أمك لعين أبوك، لعين الناس اللي حسدوك، إن كانت عين مرة، يبتليها بشرشرة، وإن كانت عين راجل، يبتليها بشراشر. يا لمبة، مساء الخير عليك، فلان منكد رمى نكده عليك". ثم تأخذ إحدى النساء النار بعد أن تلقي فيها مليمًا، وترميها من وراء ظهرها إشارة إلى نبذ أذى العين.

وبسبب العين أيضًا نشأت فكرة تعليق الصحون على مداخل المنازل أو قرون الأغنام أو عروسة القمح على الأبواب، وكذا طائفة من التمائم نراها معلقة على العربات بل على سيارات الأغنياء منا والمثقفين، بشكل خرز أو قلائد توضع دفعًا للعين. فهذه الخرافة ورثناها أيضًا عن

مصر القديمة، فقد وجد في مكتبة معبد الإله حوروس في إدفو كتاب مملوء بالرقى والتعاويذ لطرد العين الشريرة، كما أن هناك أنشودة معروفة للإله تحوت يرجع تاريخها إلى الدولة الحديثة وقد ورد فيها ما يأتي: "أيها الإله تحوت إذا كنت تحميني لم تبقَ بي حاجة إلى الخوف من العين".

## الأيام السعيدة والمنحوسة

يعتقد العوام عندنا أن هناك ساعات من النهار بل أيامًا مخصوصة، لا يحسن بالمرء أن يأتي فيها عملًا لأنها منحوسة. فهذا الاعتقاد في الأيام سعدها ونحسها قديم أيضًا. إذ كان المصريون القدماء يعتقدون أن الأيام تكون سعيدة أو منحوسة طبقًا لما وقع فيها من حوادث سعيدة أو كريهة في أساطيرهم الدينية، فاليوم الأول من أمشير الذي رفعت فيه السماء، وكذا اليوم السابع والعشرون من هاتور الذي عقد فيه صلح بين الإلهين حوروس وسيت وتراضيا فيه على اقتسام العالم، كانا يومين كلهما سعد وبركة. أما اليوم الرابع عشر من طوبة الذي بكت فيه إيزيس ونفتيس على أوزوريس فقد كان يومًا منحوسًا. وكان هذا الاعتقاد من القوة في العصر الفرعوني بحيث إن كثيرًا من الأعمال كالبدء في سفر بعيد أو عقد صفقة تجارية أو ما إليهما كان يؤجل لهذه الأسباب. ومازلنا حتى الآن بعد مضي خمسة آلاف سنة نؤجل أشغالًا لهذا السبب عينه.

## تعليق البصل

وقد اعتدنا في ليلة شم النسيم أن نعلق البصل فوق الأماكن التي ننام فيها أو نضعه تحت الوسادة، وفي الصباح نكسر البصل ونشمه، وفي بعض القرى يعلقون هذا البصل على باب المنزل. فهذه العادة مصرية قديمة، إذ كان الناس في عيد الإله (سكر) إله الموتى في مدينة منف يطوفون حول جدران هذه المدينة، وقد علقوا البصل حول رقابهم، كما كانوا يعلقون البصل أيضًا حول أعناقهم في الليلة التي تسبق هذا الاحتفال.

## اختلاط الطب بالسحر

كان الطب في مصر القديمة يختلط اختلاطًا كبيرًا بالسحر، فالعلاج بالعقاقير والأدوية كان يسير جنبًا إلى جنب مع العلاج بالرقى والتعاويذ. وقد ورثنا شيئًا كثيرًا من قدماء المصريين في هذا الباب. ففي القرى نجد الشخص إذا مرض لجأ إلى شيخ يزاول السحر، فيكتب له تعويذة على طبق ثم يضع الماء فيه كي يختلط بالكتابة التي عليه، ثم يكلف المريض بشرب هذا المنقوع لكي يشفى من مرضه. فهذه الطريقة نقلناها عن قدماء المصريين ولدينا على ذلك الدليل الثابت، ففي المتحف المصري يوجد تمثال من الجرانيت الأسود يقوم على قاعدة لكاهن ساحر يدعى (زحر)، اشتهر بما كان يحفظه من الصيغ السحرية لعلاج مختلف الأمراض، فهذا الساحر المشهور الذي لا يشق له غبار في فنه صنع لنفسه هذا التمثال،

وغطاه هو وقاعدته بالتعاويذ السحرية الواقية من عدد كبير من الأمراض لكي يستفيد به بنو جنسه بعد موته. فكان إذا أصيب أحدهم بمرض مما نصت عليه التعاويذ ذهب وصب الماء على التمثال فيصبح الماء بعد جريانه على التعاويذ المنقوشة عليه متشبعا بفضيلة التعاويذ، وما على الإنسان بعد ذلك إلا أن يغترف السائل الذي يجري إلى تجويف القاعدة، فيتناوله المريض ويشربه لكي يحصل له الشفاء.

### (طاسة الخضة)

أوليس هذا هو الأصل في العادة التي ذكرناها؟ أو ليست فكرة (طاسة الخضة) الموجودة لدينا الآن بما عليها من كتابات ونقوش وآيات، ووضع الماء فيها لشربه هي شيء شبيه بما ذكرناه؟ بل ما أشبه (طاسة الخضة) هذه بإناء من المرمر وجد في مقبرة (توت عنخ آمون) حفر على حافته سطر من الكتابة الهيروغليفية، يتضمن أدعية للملك وتعويذة لحفظه نقشت في هذا المكان حتى تختلط بما يشربه الملك عندما يضع شفته عليها وقت الشرب، فتهبه الصحة والسعادة.

### حفلات الزار

ثم ما هو الأصل في تلك الفكرة الغريبة المستهجنة التي تتملك فريقًا من نسائنا، والتي تتلخص في أن فلانة عليها شيخ أو عليها عفريت؟ ولست أدري لماذا يتمسك هذا الشيخ أو ذلك العفريت بأن يتلبس جسد المصرية ولا يروق له أبدًا أن يحل في جسد امرأة أوروبية! المسألة كلها خيال

يدل على عقلية سقيمة معتلة من نسائنا، أكثر من دلالتها على جسم سقيم أو مرض عضوي. والمسألة فوق هذا وذاك تقليد ورثناه، انحدر إلينا ضمن التركة التي خلفها لنا المصريون القدماء. ألسنا نقرأ في قصص المصريين القدماء قصة أميرة (يختن) وقد حلت في جسدها روح شريرة، لم يمكن إخراجها من جسدها إلا بعد أن ذهب إليها الإله (خنسو) بنفسه، فأخرجها بقوة سحره؟

أولسنا نقرأ في هذه القصة نفسها أن هذه الروح قد اشترطت قبل خروجها أن يقام لها احتفال فخم، يشترك فيه الإله مع أمير (بختن) بحضور هذه الروح؟ فأقيم الاحتفال وقدمت فيه الهدايا والقرابين والضحايا لهذه الروح أمام الإله (خنسو)، فلما أخذت منها بأوفر نصيب وعندما قاربت الحفلة الإنتهاء "خرجت الروح ذاهبة إلى حيث تريد" كما تقول النصوص الهيروغليفية. والآن ألا نجد في هذه القصة المصرية القديمة تفسيرًا للمصدر الذي استقينا منه هذه الحفلات الهائجة المائجة التي ندعوها الزار، ولأولئك (الأسياد) الذين يحلون في أجسام سيداتنا المصريات؟

## منازل الفلاحين

وهناك صور كثيرة تقع تحت أنظارنا في كل يوم تطابق أشد المطابقة صورًا مصرية قديمة بتفاصيلها، كما وردت رسومها على جدران المقابر. فمنازل الفلاحين في القرى هي كما قلنا شديدة الشبه بالمنازل المصرية القديمة، فهي تبنى مثلها من اللبن، ونعني به الطوب النيء الذي يضرب في

قالب من الخشب، بنفس الطريقة التي كان يضرب بها الطوب عند قدماء المصريين، ثم يرص في الشمس ليجف. ونفس المصطبة التي نجدها أمام منازل الفلاحين الآن كانت توجد عند المصريين القدماء أمام منازلهم وفي داخلها، بل إن الأخصاص التي نجدها الآن مقامة في المزارع والحقول وفي جهات متعددة من القرى، والمصنوعة من سبائت من البوص المطلي بالطين هي أيضًا كانت ذائعة الانتشار عند قدماء المصريين.

والآن ننتقل إلى صورة أخرى نراها كثيرًا مرسومة على جدران مقابر طيبة (أي الأقصر الحالية)، وهي صورة حلاق القرية وقد جلس على الأرض وأمامه رجل يحلق له في الهواء الطلق، أفليست هذه الصورة بعينها هي التي نجدها في قرانا الآن، بل في كثير من مدننا، بل وفي العاصمة نفسها على إفريز الطريق بجوار سور حديقة الأزبكية.

ونحن إذا سرنا في القرية رأينا فريقًا من الصبية وقد حلقوا رءوسهم ولم يتركوا عليها إلا خصلات متناثرة من الشعر للزينة، فهذه العادة أيضًا أخذناها عن أطفال قدماء المصريين.

## حفلات العرس

والآن فلنقترب من حفلة عرس لنرى ما يدور فيها، فهنا نجد المغنين وقد وضعوا أكفهم على خدودهم عند الغناء كما كان يفعل المصريون القدماء، وعلى مقربة منهم نجد العازفين على الزمارة، وهي قصبة من البوص طويلة الساق ذات ثقوب تشبه تمام الشبه ما كان يستعمله قدماء

المصريين. وهناك نجد طائفة من الراقصات وقد أسرفن في التكحل وغمرن الخدود بالأصباغ، كما تعودت أسلافهن من المصريات في العصر الفرعوني أن يفعلن، ونجد في أيديهن نفس الطبلة والرق والطار التي كانت تستعملها الراقصات المصريات في عصور الفراعنة، كما نرى الجمع وقد انتشى بشرب نبيذ البلح (أي العرق)، وهو نفس النبيذ الذي كان يفضله المصريون القدماء.

## أدوات الفلاح

ونحن إذا تركنا هذا كله جانبًا ويممنا وجوهنا شطر الأراضي المزروعة والحقول الواسعة رأينا فيها ما يدهشنا. فالحقول تقسم الآن إلى مربعات صغيرة لتسهيل ريها بنفس النظام الذي كان يسير عليه المصريون القدماء منذ أقدم عصورهم. ونجد الحقول وقد انتظمت المحراث وتوارثته عن المصريين القدماء. ولم تغير –مع توالي العصور عليه– في شكله أو طريقة استعماله، كما نراها تنتظم الشادوف بشكله المتعارف عليه عند المصريين القدماء أيضًا، يقوم على استعماله الفلاح المصري الحديث كما كان يقوم سلفه العظيم على استعماله منذ آلاف السنين. فإذا نما الزرع واشتد عوده وآن أوان حصاده فطريقة قطعه هي بالمنجل، وهو نفس المنجل الذي كان يستعمله المصريون القدماء بشكله المعروف الذي أخذناه عنهم. وطريقتهم في التذرية هي نفس الطريقة التي نستعملها نحن الآن، كما أن الأداة التي نستعملها فيها –وهي المذراة– هي بعينها لم تتغير منذ عصور قدماء المصريين، طبقًا لما نراه مرسومًا على جدران المقابر.

## سنظل دائمًا أبناء الفراعنة

ونحن إذا سرنا على جسور القرى نرى صفوفًا من الرجال والماشية والدواب وهي تسير في الأفق البعيد، فتعيد إلى ذاكرتنا مناظر الصفوف الطويلة المشابهة المرسومة على جدران المقابر والآثار. ومما يزيد هذه الصورة حركة وقوة حياة ما نراه يرفرف فوق رءوسنا من طيور، فهنا نجد الإلهة المصرية القديمة (نخبيت) ترفرف على شكل عقاب. وهناك يطير الإله (حوروس) على شكل صقر كبير، وعلى مدى البصر يسير الإله (أنوبيس) على شكل ابن آوى فيختبئ في الوديان والسهول. وعند موطئ أقدامنا نرى (خبر) يسير متمهلًا في شكل جعل صغير، وهناك تحت الشجرة الباسقة نرى الإله (خنوم) يرقد تحت ظلها في هيئة كبش كبير، وهكذا في كل جانب من جنبات الوادي وسهوله نرى الحروف والعلامات الهيروغليفية تقفز بيننا، تذهب وتجيء كأنها نقوش معبد فرعوني قديم قد عادت إليها الحياة فجأة بقوة ساحر عظيم.

وهكذا تتوالى أمام أعيننا في مصر الحديثة صور مختلفة، يخيل إلينا معها أن رسوم جدران المقابر قد تحولت في لحظات إلى رسوم حية و(تابلوهات) مجسمة تنبض بالحياة.

فنحن كما رأينا نعيش في نطاق تركة خلفها لنا القدماء، تشدنا إليها سلسلة من التقاليد والعادات ومختلف الأشياء التي تربطنا بها ربطًا وثيقًا لا نجد إلى فصم عروته سبيلًا، فنحن كما كنا وسنظل دائمًا أبناء للفراعنة، وإنا بهذه التركة بكل ما فيها من محاسن وعيوب لجد فخورين.

## الفصل الثاني

# ما ورثناه من العادات الجنازية عن قدماء المصريين

- (الندب والتعديد).
- تشييع الجنازة.
- زيارة المقابر (الطلعة).
- الاعتقاد في أرواح الموتى.
- نحر الذبائح عند باب المقبرة.
- تمني الرحمة والنور للموتى في مقابرهم.
- (صرف) روح الميت.

درج كثير من الناس على الظن بأن جميع مظاهر حضارتنا الحالية ومقوماتها، بما تشمله من تقاليد وعادات، وآداب واجتماعيات، ترجع إلى أصل عربي إسلامي فحسب، ولكننا قلنا وما نزال نقول أن الحقيقة التاريخية تخالف ذلك إلى حد كبير. فهناك من الأدلة والقرائن ما يثبت لنا أن المصريين القدماء الذين سكنوا مصر القديمة منذ آلاف السنين لا يزالون أحياء، يعيشون بأرواحهم في أبنائهم المصريين الحاليين. نحن لا ننكر أن أدوار التاريخ المختلفة قد غيرت لغة البلاد ودينها جملة مرات، ولكن الغزوات التي توالت على مصر لم تنل من مصرية سكانها.

وموضوع هذا الفصل يتناول ناحية لم نطرقها من قبل، أعني العادات الجنازية التي ورثناها عن أجدادنا القدماء. فإن مئات من العادات الجنازية نراها ونشهدها كل يوم، وقد ضج العلماء والمفكرون من انتشارها وانبرى الكتاب لمحاربتها، وما دروا أن البشر يصعب عليهم أن يستأصلوا عادات استمدت قوتها من حكم الممارسة والمزاولة آلاف السنين.

## عندما تحدث الوفاة

ما يكاد الميت لدينا الآن يلفظ النفس الأخير حتى تتعالى أصوات النساء بما يعرف ب (الصوات)، و"يا دهوتي يا خوي.." و"آه يا جملي.."

و" كان عليك بدري.."، إلى آخر هذه العبارات المألوفة. ثم تسود المنزل ضجة تهز أركانه هزًا، وهرج ومرج يختلط فيه الحابل بالنابل.

## تلطيخ الرءوس بالطين

فإذا حدثت الوفاة في قرية من القرى خرجت النساء من المنزل عقبها مباشرة، وقد صبغن وجوههن بالنيلة ولبثن يتجولن في طرقاتها فترة من الزمن حتى يدرن حولها سبع مرات، وهن يولولن ويصرخن بأصوات مؤلمة وقد أمسكن في أيديهن بمناديل سوداء أو زرقاء. فهذه العادة موروثة عن المصريين القدماء إذ ذكر المؤرخ اليوناني هيرودوت في كتابه عن تاريخ مصر ما يأتي:

"كان إذا توفي أحد المصريين لطخت النسوة رءوسهن ووجوههن بالطين، وتركن الجثة في المنزل ثم خرجن متجولات في شوارع البلدة وطرقاتها وهن يلطمن الخدود ويضربن الصدور، وقد شققن الجيوب حتى استبانت نحورهن". أفليست هذه الصورة التي يرسمها لنا هيرودوت بقلمه هي التي تحدث في قرانا اليوم؟

## الندب و(التعديد) ولطم الخدود

فإذا فرغت النسوة من هذا العمل عدن إلى المنزل زرافات ووحدانا، النساء يدخلن إلى المنزل، والرجال يجلسون أمامه. ومن ثم ينقلب المنزل إلى أتون ملتهب صاخب، لا ترى فيه امرأة إلا وقد غطت وجهها بالنيلة أو

اتشحت بالسواد، ثم تراهن وقد انضمت إليهن طائفة من الندابات، أمسكت كل واحدة منهن (بالطار) تحركه بين يديها، على حين تنطلق المعددات يقذفن من أفواههن حممًا من العبارات النارية، فيستسلم الجمع لحركات جنونية من لطم وعويل وولولة ورقص. فهذه العادات كلها في جملتها وتفصيلها مصرية قديمة، فالنساء في العصر الفرعوني كن يلطخن وجوههن ورءوسهن بالطين والسواد كما نفعل الآن تمامًا، وكن يشققن جيوبهن ويلطمن خدودهن ويندبن موتاهن ويستأجرن المعددات. وكانت في مصر القديمة طبقة من المعددات والندابات المحترفات يستأجرن عند حدوث الوفاة. وكن يقبلن ومعهن طبولهن وآلاتهن يوقعن عليها، ويستمر قرع الطبول وصريرها المزعج زمنًا طويلًا، كان يمتد إلى سبعين يومًا، أي طول المدة التي تظل فيها جثة الميت بين أيدي المحنطين. وفي هذه المدة كان أهالي الميت يمتنعون بتاتًا عن كل ما يشتم فيه رائحة الترف، فكانوا لا يصيبون من الطعام إلا قليلًا، ولا يرتدون من الملابس إلا أبسطها، ولا يقتربون من خمر أو مسكر، بل إن لدينا في نقوش مقابر المصريين القدماء مناظر نرى فيها زوجة المتوفى وقد صعقت عند سماع نعي الزوج، ثم نراها وقد خلعت سوارها وقلائدها وحليها. كان الرجال يتركون شعورهم تنمو دون أن يعنوا بقصها، وكذا لحاهم كانت تستطيل دون أن يفكروا في حلقها، أفليست هذه العادات، حتى البسيطة منها، هي التي نزاولها اليوم تمامًا؟

## تشييع الجنازة

فإذا تم تحنيط الجثة أقبل أهالي الميت وتسلموها من المحنطين، وبدأوا في إعداد موكب تشييع الجنازة الذي كان يسير عادة بالنظام الآتي: فريق من الخدم يحملون الزهور وأواني الزيوت والسوائل، يتلوهم فريق آخر من الرجال يحمل قوارير بها مياه مقدسة، فعدد من النسوة وقد عصبن رءوسهن، يلطمن الخدود ويضربن الصدور وقد نثرن التراب فوق رءوسهن، لا تنفك واحدة منهن عن (الصوات) لحظة، وهن يعددن بين آن وآخر مناقب الميت وماله من حسنات. ثم يتلو ذلك تابوت الميت وقد أحاط به فريق من الكهنة ورجال الدين، وهم يحملون في أيديهم المباخر وأواني العطور، ويتبع جثمان الميت عدد من المشيعين يتميز بينهم فريق النسوة من أهالي الميت ومعارفه، فإذا وصل الجمع إلى النهر، وضعوا تابوت الميت في قارب، وأحاط بالتابوت بنات الميت وزوجته وقريباته وهن يصرخن ويبكين بكاءً مرًا، على حين يسبق هذا القارب ويتلوه قوارب أخرى امتلأت نساء يولولن ويصرخن، وكهنة يقومون بطقوسهم الدينية، يتبعهم فريق من الخدم، فإذا وصلوا إلى الشاطئ الآخر من النهر أنزلت الجثة وسار الموكب بنفس النظام السابق حتى يصل إلى المقبرة، ثم ترفع المومياء إلى جانب باب المقبرة ويرش أمامها ماء، ويتلو الكاهن فصولًا من كتاب في يده، ثم يطلق باقي الكهنة البخور. أما الزوجة فتندب حظها العاثر ويختلط صوتها بصوت باقي النسوة وهن يصرخن: "يا للحسرة ويا للندامة".

أفليس هذا الوصف لجنازات المصريين الأقدمين يصح هو بنفسه أن يكون وصفًا لتشييع الجنازات عندنا الآن؟ وأليس تشييع النسوة للجنازة، على الصورة المشوهة الشائعة في مصر هو أثر من آثار قدماء المصريين؟

## خروج النساء لتشييع الجنازة

لقد كره الأئمة جميعا للنساء الخروج لتشييع الجنازة وإذا خيف منهن الفتنة كان خروجهن حرامًا، والآن طف أنحاء القاهرة أية النواحي قصدت، تجد ذلك المنظر المنكر لا تخلو منه جادة ولا ينكره أحد. ها هو الميت محمولا على الأكتاف، وأمامه المباخر وحملة القماقم وفقهاء العميان يضجون بالأصوات المنكرة، تتبعه عربات (كارو) تراص النسوة على لوحاتها كأنهن السردين، وقد صبغن وجوههن بالنيلة وصرخن بالأصوات الكريهة يعكرن الجو، كل هذا لا يعرفه الإسلام ولا يرضاه المسلمون.

أفلا ترون معي بعد هذا أن حملة القماقم والمباخر عندنا هم شبيهون بخدم الميت وكهنته في العصر القديم؟ وألا ترون معي أن فقهاء العميان الذين يضجون بالأصوات المنكرة عندنا الآن، هم شبيهون بكهنة المصريين القدماء الذين كانوا يرتلون أناشيدهم أمام تابوت الميت وهم يسيرون؟ ثم ألا ترون معي بعد هذا وذاك أن عربات (الكارو) التي تتراص النسوة عليها وقد صبغن وجوههن بالنيلة وصرخن بأصواتهن الكريهة، هي شبيهة بالقوارب التي كانت تعتليها النسوة في العصر الفرعوني؟

## زيارة المقابر

والآن لننتقل إلى طائفة أخرى من العادات نزاولها بعد دفن الجثة. اعتدنا في اليوم السابع من الوفاة، وفي أيام الخميس والجمع على العموم، ثم في الأعياد الإسلامية كالعيد الصغير والعيد الكبير، والأعياد القبطية كيوم الغطاس، أن نخرج إلى المقابر لزيارة الموتى. وهذه الزيارة نسميها الآن (الطلعة). فهذه التسمية هي نفسها التسمية القديمة. فإن كلمة (برت) الهيروغليفية معناها بالعربية (الطلعة) أو الخروج إلى المقابر. فكأننا لم نحتفظ بنفس العادة فحسب، بل احتفظنا أيضًا بنفس تسمية قدماء المصريين بعد أن ترجمناها حرفيًا إلى لغتنا العامية. والذي يهمنا ليس مجرد هذه الزيارة وإنما ما يصحبها من تفاصيل عديدة. ففي الطلعة تخرج النسوة الآن وقد حملن على رءوسهن جملة سلال ملئت بالعيش والكعك والخيار والفواكه والبلح وما إليها، لتقديمها صدقة على روح الميت على جانب المقبرة. وكم لدينا في مقابر الدولتين القديمة والوسطى من مئات المناظر التي تمثل هاته النسوة، يسرن في جماعات قاصدات المقابر وهن يحملن سلالًا تشبه سلالنا الحالية تمام الشبه، وقد كدست بالصدقات التي تكدس بها الآن سلالنا. بل الأعجب من هذا أن الفقير أو السائل إذا طلب الصدقة فقال: "اديني حسنة يا ست" وضعت هذه السيدة يدها في سلتها وأخرجت منها خبزًا فأعطته للسائل أو للمقرئ الذي يتلو القرآن إلى جانب المقبرة، وهي تقول له: "خذ كعكًا أو خذ حسنة على روح فلان". فهذا التعبير "صدقة على روح فلان" الذي نستعمله الآن هو ترجمة حرفية دقيقة لعبارة "حتب – ن – كا – ن" التي كان يستعملها المصريون

القدماء. فكأننا لم نحتفظ فقط بالعادات، بل احتفظنا أيضًا بنفس الألفاظ في أدق تعبيراتها وجزيئاتها!

ونحن نوزع الآن الخبز والصدقات على الفقراء والفقهاء الذين يتلون القرآن إلى جانب المقبرة، وكلما زدنا الفقهاء إعطاء زادونا قراءة وتلاوة. وهكذا كانت الحال في مصر القديمة، توزع القرابين على الفقراء والكتبة وغيرهم من الكهنة ممن كانوا يرددون تلاوة الأدعية والطقوس في المقبرة.

ونرى الآن على شاهد المقبرة تعريفًا بالميت وتعدادًا لمناقبه، وتنتهي الكتابة بالعبارة المألوفة: "الفاتحة على روحه". أما في عصور الفراعنة فكان شاهد القبر عبارة عن لوحة من الحجر أيضًا، يذكر عليها اسم الميت وألقابه ومناقبه وما قام به من أعمال في حياته، وتنتهي بطلب قراءة الأدعية والصلوات على روح الميت.

## الاعتقاد في أرواح الموتى

ويعتقد العوام منا الآن أن أرواح الموتى تعود إلى قبورها في يوم الطلعة، حيث تنتظر رؤية ذويها وأقاربها هناك. فهذا الاعتقاد أصله أن المصريين القدماء كانوا يعتقدون أن روح الميت تأتي على شكل طائر يسمى بالمصرية القديمة (با) وينزل إلى غرفة دفن الميت بالمقبرة ليتحد مع الجسم الراقد هناك، ولدينا مناظر تمثل هذا الاعتقاد القديم وردت في كتاب الموتى. ومما يدخل في هذا الباب أن هناك اعتقادًا سائدًا بين الفلاحين سمعته من الكثيرين منهم يتلخص في أن الذاهبين إلى المقابر لزيارتها إذا رأوا

عددًا من الطيور الخضر الصغيرة ترفرف على مقربة من المقابر، اعتقدوا أن هذه الطيور هي أرواح الموتى المدفونين هناك. فهذا الاعتقاد الحديث شبيه باعتقادات المصريين القدماء.

يدهشنا اليوم أن نرى البعض منا وقد أنفق على إعداد مقبرته وحوشها آلاف الجنيهات، فتركيبة المقبرة من الرخام الفاخر، والغرف المجاورة تفرش بأفخر الأثاث والطنافس، والثريات تنتشر في غرف الحوش تبدل ليلها نهارًا، بل غالى البعض حتى جعل من حوشه قصرًا فاخرًا تام المعدات. وقد نشرت إحدى المجلات المحترمة خبرًا قالت فيه أن أحد الكبراء يبني في قصره بإحدى ضواحي القاهرة قبرًا تقدر تكاليفه بعشرين ألف جنيه. ثم استطردت في كلامها فقالت أن أفخم قبر في مصر –بعد قبور الخديوين وضريح سعد– هو قبر السيدة أسما هانم وزوجها حسين واسف باشا، وهو مبني كله من المرمر الإيطالي الفاخر وقد تكلف ثلاثين ألف جنيه. وختمت خبرها بأن قالت وهناك طبعا قبر الأستاذ زكي عكاشة وقد تكلف عشرين ألف جنيه. والظريف في الخبر أنه نشر تحت عنوان (قبور ترد الروح).

### البذخ في إعداد المقابر

فهذا البذخ في إعداد المقبرة ورثناه عن المصريين القدماء، الذين كانوا يعملون جاهدين طوال حياتهم في إعداد مقرهم الأخير بكل البذخ والأبهة التي يتصورها عقل، والتي تبهر أنظارنا الآن بما احتوته المقابر القديمة

من نقوش ورسوم وفنون تخطف الأبصار وتخلب اللب. أما العجب العجاب فهو ما اعتاد المصريون القدماء دفنه مع جثة الميت من حلي وجواهر وأثاث جنازي وملابس وذهب يفوق حد الوصف. والعجيب ليس هو دفن هذه الأشياء مع الميت في عصر الفراعنة، وإنما الأعجب هو أننا لا نزال نفعل هذا إلى الآن وبخاصة في قرى الوجه القبلي. وهاكم ما كتبه المقطم الصادر في مساء السبت ٢٨ يوليه سنة **١٩٣٤** لمكاتبه في قنا تحت عنوان (سرقة جثة وجيه من وجهاء نقادة من المقبرة):

"توفي وجيه من وجهاء نقادة التابعة لمركز قوص من نحو سنتين، وكان في مرتبة قمص في كنيستها. وبلغني أن لصوصًا جرئوا على سرقة جثمانه بتابوته كاملًا بالملابس والعصا والحلي وما هو معتاد وضعه مع الميت، وأبلغت الحادثة إلى المديرية ورئاسة نيابة قنا والمطرانية فيها والبطريركية بمصر. والبحث يدور لمعرفة الجناة الآثمين".

وهناك طائفة أخرى من العادات الصغيرة تمر بنا دون أن نلقي إليها بالًا. فهل فكر أحد لماذا يجلس الرجال ويجتمعون وبخاصة في القرى أمام باب المنزل بعد العودة من تشييع الجنازة؟ بذا جرت العادة، ولكنها هي العادة القديمة الفرعونية، ألم يقل أحد موظفي الدولة الحديثة في خطاب وجه فيه الكلام إلى زوجته المتوفاة ما يأتي: "ولقد بكيتك كثيرًا مع غيري من الرجال أمام باب منزلي"؟

## نحر الذبائح وحمل الزهور وسعف النخل

وننحر الآن الذبائح عند المقبرة أو تحت نعش الفقيد، ولكن أليس هو (سنوهي) الذي قال في قصته منذ آلاف السنين أن "الذبائح قد نحرت عند باب مقبرتك"؟

لقد اعتدنا الآن أن نحمل طاقات الزهور وسعف النخل في الاحتفالات الجنائزية، وأن نضعها على المقابر عند الطلعة، بل على كفن الميت عند الدفن، ولكن ألا تكفينا رسوم قدماء المصريين التي تركوها لنا في مقابرهم برهانًا يرينا أنهم كانوا يحملون الطاقات وسعف النخل ويضعونها في مقابرهم كما نفعل الآن؟

ويفاخر الرجال بيننا بأنهم أخلصوا لزوجاتهم الإخلاص كله فلم يتزوجوا بعد موتهن. ولكن أليسوا هم خلف المصريين الأقدمين الذين قال أحدهم في خطاب محفوظ الآن بمتحف ليدن ما يأتي: "وعندما وصلت منف لم أتوانَ عن الذهاب توًا إلى مقبرتك، ثم بكيتك كثيرًا أنا وأهلي وعشيرتي أمام منزلي. انظري، لقد انقضت علي ثلاث سنوات حتى الآن، وأنا كما أنا لم أتزوج، ولو أن هذا علي شديد".

اعتاد المصريون القدماء أن يطلقوا على الجبانة اسم العالم الغربي (أمنتت) باللغة الهيروغليفية أو الغرب فقط، وذلك لأن الجبانة كانت تقع في المعتاد في الجهة الغربية. كما اعتادوا أن يطلقوا هذا الاسم أيضًا على مملكة أوزوريس حيث يحاكم الموتى أمام إلههم الأعظم أوزوريس. فالغرب

كان عند المصريين القدماء رمزًا على العالم الآخر، عالم الموت والوحدة. وهذه الفكرة لا يزال أثرها باقيًا في مصر إلى الآن. فنحن نقول عندما نرى المريض على فراش الموت وقد فقد وعيه وظهرت عليه أعراض الموت أن "عينه غربت"، ومعنى هذا أن عينه قد اتجهت إلى جهة الغرب أي إلى العالم الغربي، عالم الموت والوحدة والسكينة كما كان يتصور قدماء المصريين.

## تكفين الموتى

اعتاد المصريون القدماء أن يكفنوا موتاهم في عدد عديد من الأربطة واللفائف، حتى لقد بلغ ما يلزم الجثة الواحدة من اللفائف مئات الأمتار طولًا. وقد ورثنا عنهم هذه العادة بالرغم من أن الدين الإسلامي قد حرم تكفين الموتى في أقمشة غالية الثمن. ونحن نعلم أن النبي مُحَمَّد (صلى الله عليه وسلم) قد كفن في بردته، ومع ذلك فإننا نرى بعض الناس وخاصة في الوجه القبلي يكفنون الميت في اثني عشر ثوبًا أو أكثر أي فيما يقرب من الستين مترًا، كما نرى البعض الآخر وقد كفن الميت في سبعة أدراج بينها الحرير وكل ما هو غالٍ وقيم من أنواع القماش الفاخر، وهم يتغالون في ذلك بشكل يلفت الأنظار وبدرجة تختلف باختلاف ثروة الأسرة وقدرتها المالية. فهذه البدع ليست من الدين الإسلامي في شيء كما ذكرنا، ولكنها هي العادة التي ورثناها عن أجدادنا القدماء وهي التي نجري عليها إلى اليوم دون أن يعرف الكثير منا أصلها على وجه التحديد.

ونحن الآن إذا كنا نكره شخصًا ثقيل الظل أو نحقد عليه، فنحن نتمنى على الله ألا يدخل لنا بيتًا، وينصحنا الناس بنصيحة قيمة ثمينة، هي أننا "نخليه يطلع ونكسر وراه قوارة" وهم يعتقدون بأن كسر إناء وراء هذا الشخص كفيل بألا يعيده إلينا. وأصل هذا الاعتقاد أن قدماء المصريين وقد كانوا يخشون أن تعود روح الميت إليهم في الليل أو النهار فتروعهم، أو تتراءى لهم في أحلامهم فتذيقهم مرارة الخوف والعذاب ،كانوا يلجئون إلى كسر إناء خلف الميت عند خروجه من البيت.

## تمني الرحمة والنور للموتى

نحن نتمنى الآن لموتانا الرحمة والنور. وإذا دعونا لميت قلنا: "نور الله ضريحه". فنحن نخشى الآن ظلام القبر ووحشته ونتمنى نوره وأنسه شأننا في ذلك شأن المصريين القدماء. ألم يقل أمير الكاب المدعو (باحيري): "سوف تخرج في النهار ثم تعود إلى بيتك الأبدي في الليل، حيث تجد مصباحًا يضيء لك وينير مقبرتك حتى مطلع الشمس. وسيقولون لك: ادخل بيتك آمنًا مطمئنًا فهو بيت الأحياء ودار الخلود، وسوف ترى فيه الشمس رع مشرقة في وسط السماء". فالمصري القديم في عصور الفراعنة كان يحب النور الذي يؤنسه في مقبرته فيزيل عنه وحشته، وهو نفس النور الذي نتمناه لموتانا الآن في مقابرهم. وهذا يفسر لنا طائفة كبيرة من العادات جرينا على اتخاذها في هذه المناسبات. فإن البعض قد اعتاد على وضع مصباح على قبر الميت وإضاءته مدة قد تمتد إلى أسبوعين، كما اعتاد البعض الآخر أن يضيء أمثال هذه المصابيح على قبور الموتى في

أيام الأعياد. وهناك كثير من الناس يرون لزامًا عليهم أن يضعوا مصباحًا في الحجرة التي توفي فيها الميت مدة تتراوح بين الثلاثة أيام والسبعة. فهل يرى القراء مصدرًا لهذه العادات غير ما ذكرناه من عادات قدماء المصريين التي تؤيدها النصوص والرسوم التي خلفوها لنا؟

من المعلوم أن قدماء المصريين كانوا يعتقدون أن روح الميت الذي دفن في المقبرة في حاجة ملحة إلى أن تأكل وأن تشرب؛ لذا فقد جرت العادة عندهم على أن يضعوا في المقبرة عند الدفن كمية من النبيذ والمآكل والمشارب، كانوا يضعونها في أواني مختلفة من المرمر والأحجار ويتركونها على موائد أو قوائم على مقربة من تابوت الميت، كما اعتادوا أن يرسموا على جدران المقبرة القرابين المختلفة التي تستطيع روح الميت أن تعيش عليها. وقد بقيت هذه العادة لدينا إلى الآن، فقد اعتاد بعض الناس على وضع الخبز والماء في المقبرة مع الميت عند الدفن، كما يضع البعض الخبز تحت رأس الميت في النعش ويدفنونه معه في المقبرة.

اعتاد قدماء المصريين أن يضعوا داخل تابوت الميت باقات من الأزهار. ولقد عثرنا على مثل الباقات وعلى أنواع من الأزهار موضوعة داخل توابيت الملك توت عنخ آمون. أفليس هذا هو الذي اعتدناه نحن أيضًا عندما نضع هذه الأزهار والرياحين داخل نعش الميت، وعندما ننشرها خارجه على القماش الذي يغطي النعش في نظام وتوافق بأشكال متعددة ومختلفة؟

## غسل ملابس الميت

جرت العادة بأن تجمع ملابس المتوفى، رجلًا كان أو امرأة، وعلى الأخص الملابس التي كان يرتديها عند الموت، وأن تغسل أو تؤخذ إلى شاطئ نهر أو ترعة قريبة حيث تغسل ثم يأتي فقيه فيقرأ القرآن على مقربة منها. وفكرة العامة في ذلك أن الملابس عندما تغسل فإن الروح العالقة بها تتركها وتنضم إلى الجسم حيث تسكن معه في المقبرة. فهذه العادة هي في واقع الأمر بقية من اعتقادات المصريين القدماء فقد ورد في بعض نصوص كتاب الموتى ذكر لشاطئ سموه شاطئ الغسيل، حيث يبكي عنده الباكون على الميت.

## (صرف) روح الميت

أما اعتقاد العوام في أن روح الميت تبقى حبيسة، وتلازم المكان أو المنزل الذي حدثت فيه الوفاة إلى أن تقدم لها القرابين والصلوات اللازمة فتنصرف، فهذا يرجع في أصله إلى عادة مصرية قديمة كانت وطيدة الأساس في العصر الفرعوني. ويشبه هذا الاعتقاد عادة اعتادها الأقباط تتلخص في أنه في اليوم الثالث للوفاة يحضر فريق من القساوسة أو قسيس وعريف، نقول يحضر هذان في النصف الأخير من النهار (أي فيما بعد الظهر) ليقوموا بالطقوس اللازمة لصرف الروح؛ حتى لا تظل عالقة في المكان وحتى يمكنها أن تنطلق حرة آمنة مطمئنة. وتتضمن هذه الطقوس صلاة قصيرة تتلى على المائدة التي تعد لأكل الحاضرين من أقارب المتوفى

ومعارفه من أهل المنزل، ثم يبارك الكهنة أنواعًا من الطعام تكون معدة لتوزيعها على الفقراء صدقة وقربانًا، ثم ترش جميع غرف المنزل وخاصة غرفة الوفاة بالماء المقدس وتتلى طائفة من الصلوات المهدئة للنفوس، فتكون بلسمًا للقلوب الجريحة وملهمة للصبر والسلوان.

## الفصل الثالث

# الألفاظ المصرية القديمة الباقية في لغتنا العامية

- الطفل منذ ولادته يسمع ألفاظًا مصرية قديمة.
- الكلمات المستعملة في ألعاب الأطفال.
- أطعمتنا الوطنية القديمة.
- الكلمات المستعملة في الأغاني والأفراح والحفلات.
- عبارات متداولة بين الفلاحين.

## تركة من الألفاظ القديمة

**يظن كثير من الناس أن اللغة المصرية القديمة، سواء أكانت الهيروغليفية أم القبطية، قد اندثرت تمامًا وذهبت دون أن تترك لها أثرًا، ولكننا نقول لهؤلاء السادة كلا ثم كلا، فكما أثبتنا لمثل هذا الفريق من الناس في الفصول السابقة أن كثيرًا من العادات المصرية القديمة لا تزال باقية في مصر للآن، سنحاول في هذا الفصل أن نثبت أن مئات الألفاظ بل جملًا كاملة ما تزال مستعملة كل يوم في لغتنا العامية أصلها مصري قديم. وهذه الجمل والألفاظ والتعبيرات المصرية القديمة قد استمرت، شأنها في ذلك شأن العادات القديمة، منبثة بيننا يتناقلها الخلف عن السلف من جيل إلى جيل حتى وصلت إلينا تراثًا قديمًا يذكرنا بأجدادنا العظام.**

ما يكاد المولود لدينا يرى نور الحياة حتى يسمع أمه تخاطبه بلغة غريبة عنه، ولكنها في الوقت نفسه أقرب ما يتكون إلى حسه وفهمه، فهو إذا جاع قالت له أمه (مم) وإذا عطش قالت له (إمبو) فهل تصور أحد أن هاتين الكلمتين قبطيتان أخذتا بدورهما عن اللغة المصرية القديمة، فكلمة (مم) مأخوذة عن القبطية (موم) والهيروغليفية (أونم) بمعنى كل، و(إمبو) عن كلمة (امبمو) القبطية بمعنى اشرب، فإذا أحس الطفل بألم سألته أمه في حنان وعطف عن مكان الوجع فقالت (واوا). فكلمة واوا هي بجميع حروفها هيروغليفية معناها ألم أو وجع أو ورم، وإذا سألته عن الحشرة التي

تمضه وتوجعه قالت له (بيبه) ومعناها برغوث، وإذا أرادت أن تنهره عن فعل شيء كريه قالت له (كخه) أو (كخ)، و(كخ) كلمة قديمة معناها قذارة. فإذا أصاب الطفل برد أو زكام قلبت الأم بيتها رأسًا على عقب؛ بحثًا عن (شايه) له تقيه برودة الجو وتشع في جسم طفلها دفئًا لذيذًا، فكلمة (شايه) هي أيضًا مصرية قديمة معناها قميص. أما إذا اشتد الطفل ونما وأرادت أن تعلم (اسم النبي حارسه) طفلها المشي، فإنها تقول له (تاتا تاتا خطي العتبة)، فما هي كلمة تاتا؟ هي أيضًا الكلمة الهيروغليفية (تاتا) ومعناها امشِ.

(بعبع) و(أوأ) و(بخ)

فإذا أرادت الأم تخويف طفلها قالت له: "أجيب لك البعبع ياكلك". فكلمة (بعبع) هذه هي الكلمة القبطية (بوبو) وهو اسم عفريت مصري استعمل في العزائم السحرية، واتخذوه لتخويف الأطفال وصوروه بهيئة بشعة ومخيفة جدًا. أما إذا أكثر الطفل من البكاء فإن صبر الأم ينفذ وتقول في جزع ونفاد صبر: "يا واد أنت تملي تأوأ كدا"، ومعناها: "أنت تملي تعاكس كدا" إذ أن كلمة (تأوأ) أصلها القبطي (أوييه) أي يعاكس. فإذا استمر الطفل في عناده وزاد في بكائه وعويله فإن الأم ترمي آخر سهم في كنانتها، بأن تلجأ إلى التهديد فتقول له "أنت حتسكت والا أجيب لك البيخ"، فتفعل هذه الجملة في نفس الطفل فعل السحر وينقطع عن النحيب والبكاء، فما هو هذا (البيخ) الذي كان له ذلك التأثير السحري على الطفل؟ هو كلمة قبطية (بيخ) ومعناها عفريت أو شيطان.

## كلمات مستعملة في ألعاب الأطفال

فلا غرابة إذا رأينا هذا الطفل -وأطفالنا كلهم مثل هذا الطفل- إذا كبر متمسكًا بالألفاظ والتعبيرات والعادات التي درج على سماعها والتي رأى الناس يزاولونها أبًا عن جد. فالولد إذا خرج إلى الطريق سواء أكان (حارة) أم (زقاقًا) وجد الأولاد يلعبون الكرة، ونحن لا نقصد هنا كرة القدم فإن الأشياء الحديثة و(المودرن) لا تهمنا هنا قط، فهي مستحدثة علينا، وإنما نقصد تلك الكرة الصغيرة التي يصنعونها من الجوارب القديمة البالية، والتي نشأت وربت وترعرعت في بلادنا منذ أقدم العصور. نقول إذا رأى الولد زملاءه يلعبونها انضم إلى زمرتهم وبدأ يلعب بجد ونشاط فيقول: (سنو) - (كحكو) - (شكا).. إلخ. فهذه الألفاظ جميعها هيروغليفية: (سنو) معناها اثنان و(كحكو) هي كلمة (كحك) الهيروغليفية ومعناها ينحني و(شكا) ومعناها يضرب.. إلخ. وفي أثناء لعبهم إذا اختلف الأولاد قال أحدهم للآخر: "يا إخس أنت بتحمرأ علي" أو "بلاش حمرأة"، فكلمة "حمرأ" هي الكلمة القبطية (حمرق) ومعناها تغيير الكلام في اللعب أو خلافه.

### يا مطرة رخيها!

ولكن واأسفاه ما يكاد الأولاد يستمتعون بلعبتهم المفضلة حتى يداهمهم المطر، فيملأ الأزقة والحارات ويكون فيها برگًا وأنهارًا، فينقطعون عن لعب الكرة ويستبدلونها باللعب في مياه الأمطار والبرك، ويطلبون

المزيد صارخين بأعلى صوتهم: "يا مطرة رخيها رخيها خللي البط يعوم فيها"، فما من ولد فيهم فكر في معنى كلمة (رخ)، والواقع أنها كلمة قديمة معناها "نزل"، فيكون معنى ندائهم: "يا مطرة انزليها انزليها وكوني بركًا يتمكن البط من أن يعوم فيها". فإذا انتهى الأطفال من لعبهم عادوا إلى منازلهم فقابلتهم أمهاتهم بوجوه كالحة وأوسعنهم ضربًا موجعًا، فإذا سألتهن لماذا؟ أجبنك على الفور: "لأن المسخمين سخموا هدومهم وحلة وسخموا روسهم طين"، فهل فكرت الأم أنها لا تتكلم العربية حين تستعمل كلمة (سخم) التي هي كلمة قبطية بمعنى نجس أو لوث أو غطى بالوحل؟

نسمع كل يوم الباعة الجوالة وهم ينادون بأعلى أصواتهم على ما لديهم من سلع، فهل فكر أحد أن كثيرًا منهم ينادون بألفاظ كثيرة قديمة؟ وإليكم المثال:

ينبعث صوت رقيق ينادي (حالوم يا جبنة) أما الجبنة فكلنا يعرفها، ولكن من منكم يعرف معنى كلمة (حالوم)؟ الواقع أن (حالوم) هي كلمة قبطية ومعناها جبنة، فكأن البائعة تنادي على ما عندها بكلمتين إحداهما قبطية قديمة والأخرى ترجمة الكلمة تماما باللغة العربية.

ولا تكاد تمر دقائق معدودة حتى نسمع صوتًا أجش يقول: (الشلبة يا عاوزين الشلبة)، فإذا لم يأبه به أحد نادى: "يا بسارية بحري بحري"، فالشلبة والبسارية هما نوعان من السمك الصغير، اسمهما الحالي مأخوذ من اللفظتين القديمتين (شلفاو) و(بساري). فإذا انتظرنا لحظة سمعنا رجلًا

ينادي: " الشراق العال الشراق"، و(الشراق) أو (الإشراق) هو خشب ذو مادة دهنية يستعمل في إيقاد النار والفحم وما شاكل ذلك، ونفس الكلمة مأخوذة عن كلمة (شرقه) القديمة ومعناها: خشب (شي) و(رقة) الحريق.

## الأطعمة الوطنية

أما في أطعمتنا الوطنية المصنوعة من الفول فما يزال على الأقل صنفان منها محتفظين باسمهما القديم، أولهما (المدمس) ومعناه الفول المستوي في الفرن بواسطة دفنه أو طمره في التراب، واسمه القديم (متمس) أي الفول المطمور والثاني (البيصارة) واسمها القديم (بيصورو) ومعناها: الفول المطبوخ.

ويقول عامتنا حين يتحدثون "دا شيء ياما"، فلفظة "ياما" هي الكلمة القبطية (آما) ومعناها كثير. والأغرب من هذا أننا نترجمها حرفيًا في لغتنا العامية فنقول أحيانًا "وياما من ده كثير" فكأننا قد ذكرنا اللفظة العربية ومعها أصلها القديم أيضًا. وإذا حدثك أحد العامة عن رجل أعجب بقوته ودهائه قال عنه: "دا راجل يغلب العنتيل"، وكلمة (عنتيل) أصلها (أنتوري) ومعناها القوي الشديد. وإذا خاطبك رجل من الصعيد قال لك: "عاوز آش"، ونحن في مصر نستعمل كلمة (إش) أيضًا إنما بشكل أرق فنقول: "وأنت إش لك في كده"، فلفظة (إش) أو (آش) هي القبطية (آش) وأصلها الهيروغليفي (آخ)، وهي حرف استفهام بمعنى ماذا.

## (باش) و(طاش)

يستعمل العامة عندنا كلمة (باش) في قولهم: "العيش باش خلاص"، فكلمة (باش) ليست عربية وإنما هي قبطية نقلت عن أصل هيروغليفي، ومعنى الكلمة لان وطرى. ومن مشتقات هذه الكلمة لفظة (بشبش) بمعنى يبلل، في قولهم: "الله يبشبش الطوبة اللي تحت راسه"، أو قولهم "شوف الواد بشبش هدومه مايه وغرق روحه خالص"، فالكلمة مرادفة تمامًا للفظة (يبلل) العامية وأصلها القديم هو (بشبش). أما كلمة (بك) في قولهم: "ضربته لما بك الدم من عينه" فهي كلمة (بك) القبطية ومعناها: نزل – وقع – سقط – تدحرج، فيكون معنى الجملة أنه ضربه "لما نزل الدم من عينه".

ونسمع كثيرًا كلمة (بوش)، فيقول الرجل إذا اعتراه اليأس: "يا خسارة تعبي كله طلع بوش" فلفظة (بوش) هذه قبطية معناها أصلًا سلب – نهب – عرى، واستعملت منذ العصور القديمة مجازًا بمعنى فارغ – خالي – معدوم.

يقول الفلاح لزميله إذا رآه جالسًا في تكاسل: "قوم كده وأنت قاعد زي التليس"، و(تليس) كلمة قديمة معناها زكيبة، فكأنه يقول لزميله: "قوم كدا وأنت قاعد زي الزكيبة" أما إذا قال له: "قوم يا واد علم الطاش"، فإنه يستعمل كلمة قديمة هي (طاش) بمعنى حد أو فاصل؛ ولذا

يقول الفلاحون أيضًا: "احنا النهاردة طوشنا الغيط كله" أي وضعنا حدوده وأبنا معالمه.

يضيق الحال بفلاحنا إثر عاصفة اجتاحت أرضه أو أضرت بمحصوله، فيعتصم بالصبر ويقول: "إن شاء الله بكره يطلع طياب"، فكلمة (طياب) هي اللفظة القديمة لهواء أو ريح يأتي من الشمال. ومما يدخل في هذا الباب كلمة (ماريس) في قولهم: "يا هوا يا مريسي نشفلي قميصي" و(ماريس) لفظة قديمة معناها قبلي أو جنوبي أو آتٍ من جهة الصعيد، فيكون معنى الجملة: "يا هوا قبلي نشفلي قميصي".

وإذا زارت سيدة صديقة لها في منزلها ووجدتها مشغولة قالت لها: "أنت يا أختي مالك مطهومة كدا طهمة كبيرة"، فكلمة (طهمة) قديمة ومعناها عزومة، وقد احتفظنا بالمعنى في أقرب نواحيه في قولنا: "هل قربت طهمة الفرح؟" أي عزومة أو لحمة الفرح.

(كوش) و(كاني وماني)

ونسمع من الكثيرين كلمة (كوش) فيقولون: "الراجل ده كوش على كل حاجة ولا فاتشي شيء أبدًا"، والكلمة قديمة ومعناها تركه لا يملك أو تركه عريان.

أما العبارة المألوفة: ""آه يا كاسي منك" ففيها كلمة ( كاس) قديمة ومعناها في اللغة القبطية تعب أو وجع أو ألم، فيكون معنى العبارة: "آه يا عذابي منك" أو "آه يا ألمي منك.." إلخ.

ولعل من الممتع حقا أن نعرف أصل عبارة "كاني وماني" التي نستعملها كل يوم في مختلف المناسبات فنحن نقول مثلًا: "وبعدين يا سيدي قعد يقوللي كاني وماني ودكان الزلباني" فلفظتا كاني وماني ليستا عربيتين، وإنما أصلهما قبطي ومعناهما سمن وعسل. أما كلمة دكان الزلباني فهي إضافة تفسر معنى (كاني وماني) إذ يوجد في مثل هذا الدكان السمن والعسل وما شاكلهما من الفطائر التي يدخل في صناعتها السمن والعسل.

ويطلب الموظف الصغير من زميله أن يعيره نصف جنيه لأول الشهر لأن: "شهر العيد كان طويل عليه والماهية خلصت عن آخرها"، فيجيبه زميله في أسى وحسرة: "والله فلوسي أنا كمان الشهر ده على القيط خالص"، فترى ما هو هذا القيط؟ (القيط) أيضًا لفظة قديمة قبطية وهيروغليفية معناها (المطلوب أو اللازم أو الكفاية أو التمام) فيكون معنى العبارة أن فلوسه هي أيضًا على التمام أو على قدر المطلوب بدون زيادة ولا نقصان ويا دوب تكفيه.

أما إذا حل أول الشهر وتسلم الموظف المسكين ماهيته فإنه ينتقم لنفسه من الضنك الذي أصابه في الأيام الأخيرة من الشهر، و"يدور يمهيص في الدنيا" فما معنى (يمهيص) إذن؟ هي كلمة عامية، ولكن أصلها

قديم فهي تتكون من كلمتين: (مه) ملأ أو اتقد. ومن (يص) السرعة أو العجلة أو النط، فيكون معنى العبارة أنه يدور ممتلئًا بالرغبة في النط أو القفز.

تسمع العامة يقولون وقد فقدوا كل حياء ولياقة: "جاك أوا يبلعك النوا كل عشرة سوا"، فإذا سألتهم ما هو هذا (الأوا) حاروا جوابًا، والواقع أنها لفظة قديمة: (أوى) معناها الويل أو الحسرة أو تبًا لك.

الله يخليك.. ويطرح البركة فيك

وإذا أنت جلست إلى امرأة عجوز فأكرمت وفادتها ونفحتها (باللي فيه القسمة) من نقود دعت لك فقالت: "الله يخليك ويراشيك ويطرح البركة فيك"، فكلامها كله مفهوم ما عدا لفظة (يراشي)؛ لأنها ليست من أصل عربي إذ هي في الواقع قبطية، (روش) ترجع إلى أصل هيروغليفي ومعناها يعتني، وهذا ما يجعلنا نستعملها تمامًا مرادفا للفظة يعتني فنقول للخادم: "خد يا مُحَمَّد الولد معاك بس ابقى راشيه" أي اعتنِ به و"خد بالك منه".

أما إذا تشرف المنزل العامر في يوم ما بزوار ظرفاء فإننا نستبقيهم للغذاء، وعندما ينتهون فإننا لا نسمح لهم بالخروج لأن "الدنيا صهد" أو لأن "النهارده صهده يسلخ العينين" ونرجوهم ألا يخرجوا "في عز النقره" وإنما "لما تطري الطراوة"، وهنا نكون قد استعملنا كلمتين هما (صهد) و(نقره) من أصل قديم. الأولى (صهد) ومعناها نار أو لهيب، والثانية نقره

(نجره) وهي مكونة من كلمتين: (نج) شديد أو قوي و(ره) ومعناها شمس، أي الشمس القوية أو الشديدة.

(شأشأ) و(شبار شبار) و(هبأ)

ونسمع كثيرًا كلمة (شأشأ) في قولهم: "ولما الفجر شأشأ" أو: "لما يشأشأ النور".. إلخ. فهل فكر أحد في أن الكلمة قبطية تنطق (شاهشا) ومعناها سطع أو التهب أو أنار؟

وكم من مرة سمعنا امرأة تشكو وتقول: "شبار عليّ على ايه كدا دي حالتي بقت عبرة يستعجب منها العدو والحبيب"، فكلمة (شبار) قديمة أيضًا، ومعناها عجيب أو عجب أو غريب، فيكون معنى (شبار عليّ) أن حالي عجيب أو مذهل يستحق الإشفاق.

أما كلمة (هبأ) في قولهم: "أنت كنت فين النهار ده كله هابئ وطافش من البيت"، فهي الكلمة القديمة (هبق) ومعناها كثير المشي أو الإكثار من المسير.

يقول الرجل وقد أعياه الفقر: "أنا خلاص معنديش حاجة أبدًا زي ما أنت شايفني، حاتا باتا على البلاط، وإيش هياخد الريح من البلاط"، فلفظتا (حاتا باتا) هنا قديمتان، إذ معنى (حات) في القبطية والهيروغليفية قلب ومجازًا جلد، و(بات) معناها ضلوع أو عظم، فيكون المعنى أن الجلد على العظم كناية عن شدة الفقر ورقة الحال.

نسمع الكثيرين وقد ضاقوا ذرعًا بشخص ما يقولون: "داهية تودي البعيد الأمندي"، فلفظة أمندي التي يستعملها البعض في هذه العبارة هي لفظة قبطية وهيروغليفية تنطق في القبطية أمندي وفي الهيروغليفية، أمنتت ومعناها الغرب أي العالم الآخر عالم الموت والوحدة والسكون. فكأن الشخص الذي يقول هذه العبارة يتمنى أن يذهب عدوه إلى عالم الموت أو إلى جهنم أو إلى الجحيم.

ونحن الآن خصوصًا في الصعيد إذا نادينا شخصًا فإننا نسمعه يرد علينا بلفظة (ها) وحدها أو بلفظتي (ها نعم)، وإذا قلنا مثلا (انت يا بت) ردت فقالت (ها يا بوي). فلفظة (ها) هي اللفظة القبطية (أها) وهي حرف جواب بمعنى نعم. وهذا هو السبب في استعمالها الآن بدل لفظة نعم أو مضافة إليها (ها نعم) كما سبق القول.

ما أكثر الشتائم والألفاظ النابية التي نسمعها في الشوارع منتشرة على ألسنة العامة والسوقة. فبينما نسمع هذا يقول لذاك: "جاتك البعيد طمسة" إذ نسمع ثالثًا يقول لرابع: (روح البعيد انطمس دهية تطمسك)، ويعقب عليها بجملة تفسيرية بديعة هي (روح البعيد ادفن روحك بالحيا). فلفظة (طمس) المستعملة في هذه الجمل النابية هي اللفظة القبطية والمصرية "طمس أو طمسي" ومعناها دفن. فكأن معنى عبارة "فلان ينطمس" أنه يندفن؛ وهذا هو ما يجعل العامة دون علم منهم يضيفون إلى كلامهم عبارة "يندفن بالحيا"، وهي جملة تفسيرية تفسر معنى كلمة (طمس) القبطية التي لا تزال مستعملة لدينا في اللغة العامية إلى الآن.

## يا ليلي.. يا عيني

نسمع كثيرا في الأفراح والحفلات المغني وهو يبدأ غناءه بعبارة "يا ليلي يا عيني"، ويتفنن في ترديدها وترجيعها على مختلف الوجوه بعد أن يصوغها في مختلف الألحان، ويلبث في شدوه وترجيعه وقتًا قد يتجاوز ثلث الحفلة أو الوقت المعد للغناء. فهل فكر أحد في المقصود بهذه العبارة التي تتكرر مئات المرات؟ يقول الكثيرون منا وفيمَ التفكير والأمر بسيط لا يستحق كل هذا العناء! فيا ليلي لفظة واضحة لا تحتاج إلى تأويل ولا إلى إعمال فكر، فإن المغني ينادي بداهة على الليل. ولكننا نقول: ولم اختار المغني الليل بالذات ليناديه، ولماذا أردف لفظة الليل بالعين. وهل هو إذا كان ينادي الليل فلماذا هو ينادي عينه بالذات؟ وما هي العلاقة بين الليل وعين حضرة المغني المحترم؟.. كل هذه أشياء إذا نحن تناولناها بالتفكير لاتضح لنا أن المغني لا يقصد ليلًا يناديه، وإنما اللفظ ينصرف إلى معنى آخر هو الذي سنفسره الآن.

فلفظة (ليلي) وردت في اللغة القبطية بهذا اللفظ والنطق نفسه بمعنى انشراح أو فرح أو ابتهاج الصدر، وقد وردت في أنشودة العذراء هذا مطلعها: "ليلي أودي برتينوس" ومعناها افرحي أيتها العذراء، فيكون معنى (ليلي) في هذا المقام هو افرحي أو انشرحي، وهذا يتسق تمامًا مع اللفظة التي تليها وهي (يا عيني)، إذ يكون معنى العبارة كلها: "افرحي أو ابتهجي (ليلي) يا عيني".

(مدنات) و(أوشم) و(يريس)

نسمع أحيانًا النساء يقلن: "احنا مدنات الليلة في بيت فلان عشان عنده فرح عقبال عندك". فلفظة (مدنات) هذه، قبطية أصلها مدنان ومعناها (مدعوين أو معزومين) فيكون معنى العبارة أنهم مدعوون إلى منزل فلان.

وإذا اجتمع عدد من الأصدقاء والأصحاب وأخذوا يتبادلون الأحاديث، فأنت تسمع خلال أحاديثهم طائفة كبيرة من الألفاظ الغريبة تظهر لك أول الأمر غير واضحة المعنى، مثال ذلك إذا قال شخص لآخر أن فلانا (مسكين وغلبان وحالته أوشم من حالاتي، لونه انطفى مرة واحدة)، فأنت وإن كنت قد فهمت كل ألفاظه فإن كلمة (أوشم) هذه لابد وأن تكون قد خفيت عليك. والواقع أنها كلمة قديمة تنطق (أوشم) ومعناها أطفأ النار أو النور أو أخمد الحرارة. وهذا هو السبب في أن عبارة "أوشم من حالاتي" يردفونها دائما بعبارة "لونه انطفى مرة واحدة"؛ لأن في هذه العبارة الأخيرة تفسيرًا عربيًا لكلمة (أوشم) التي تدل على ذبول اللون وانطفاء الحيوية.

كما وأنك كثيرًا ما تسمع شخصًا يقول لآخر: "واجب عليك يا فلان إنك تريس نفسك وتاخد بالك من روحك كويس) فيجيبه الثاني هكذا: "أيوه لك حق أنا حروس طيب الحكاية في عقلي"، فكلمة (روس) أو (ريس) العامية هذه هي كلمة قبطية تنطق (روس) أو (ريس)

وهيروغليفية تنطق (ريس)، ومعناها يسهر على أو يتيقظ أو يلتفت أو يتنبه فيكون معنى عبارة: "ريس نفسك أو روس الحكاية في عقلك" أن ينتبه لنفسه وأن يلتفت للحكاية ويختبرها جيدًا. ومن هنا نستطيع أن نعرف معنى المثل الذي يجري على ألسنة العامة حين يقولون (اللي ما يريس قبل ما يسيس لا حاجة له بعد الغرق).

(يسك) الكعب

ونحن حين نسمع عبارة (ساك الكعب) في نحو قولهم أن فلانًا جاء راكبًا، أما فلان (فكان ماشي يسك الكعب)، نجد أن لفظة (سك) ليست عربية وإنما هي كلمة قبطية تنطق (سك)، ومعناها جر أو سحب أي مشي على كعب رجله وليس راكبًا.

وكم من مرة سمعنا الخادم تقول أن "القلة أو الزلعة بتشنشن كنها مكسورة"، فلفظة (تشنشن) هي الأخرى ليست عربية وإنما هي مأخوذة عن كلمة سنسن القبطية، ومعناها (رن أو طنطن) وهو المعنى الذي نقصده حين نقول أن القلة (بتشنشن)، أي ترن أو تطنطن أو تخرج صوتًا يدل على أنها مكسورة.

وذكر لفظة (يشنشن) يجرنا إلى ذكر لفظة يوش، فنحن نقول الآن: "مال وابور الغاز بيوش قوي كدا؟" أو "ايه ده اللى بيوش في وداني زي وش الوابور". فكلمة (وش) هذه قبطية وهيروغليفية تنطق بالقبطية (أوش) وبالهيروغليفية (عش)، ومعناها صاح أو صرخ أو صوت، فيكون معنى

(وش الوابور) أي صراخه وجلبته، وهو المعنى القديم القبطي والهيروغليفي تمامًا.

مَن مِن السادة الذين يملكون العزب والأراضي والضياع لا يتمنى أن تروى أرضه بالراحة، وألا يترك منها شيء (شراقي). فلفظة (شراقي) هذه ومعناها الجفاف لعدم وصول الماء أو لتعذر الحصول عليه، كلمة محرفة عن الكلمتين القبطيتين (شرقي وشرهكو) ومعناها ضربة الجوع أو الفقر أو القحط.

وهؤلاء السادة الأغنياء يتمنون أيضًا أن تمتلئ شونهم بالخيرات من وافر الحبوب والغلال. ولكن هل عرفوا أن كلمة (شونة) ليست عربية؟ وإنما وإنما هي لفظة قبطية تنطق (شوني) وهيروغليفية تنطق (شنوت) ومعناها مخزن غلال. أي أن الكلمة بلفظها ومعناها تمامًا لا نزال نستعملها إلى اليوم.

يالا.. هيهليصا

والآن دعونا نستمع إلى فريق المراكبية وهم ينادون (ياللاهيهليصا)، وهم يعنون بذلك (يالا فقد سقطنا في الوحلة)؛ إذ أن لفظة (هيهليصا) تتركب من كلمتين قبطيتين إحداهما (هي) ومعناها سقط أو وقع ومن (هيليص) أو (ليص) أو (لوص) أي الوحلة أو الطين. ولفظة (لوص) بمعنى الطين أو الوحل لا تزال مستعملة إلى الآن لدينا بمفردها حين نقول: "فلان

هرب وسابني في اللوصة دي" أي في الوحلة دي. وكذا حين نقول: "فلان لايص في الحكاية" أي منزلق ومتحير فيها كما ينزلق الإنسان في الوحلة.

وأنت إذا حدثت رجلًا حريصًا وجدته يلتمس جانب الحذر والحيطة فيقول لك: "ودا كلام شرف ولا بعدين تقول حئ بئ لا فيش ولا عليش أول عن آخر"، فتفهم ما يعنيه من كلامه إجمالًا غير أنه يشكل عليك فهم لفظتي (حئ بئ)، والواقع أنهما كلمتان قديمتان نستعملهما الآن. الأولى (حي) ومعناها الأول أو المبدأ، والثانية (بكى) ومعناها الآخر أو النهاية، فيكون معناها الأول والآخر.

لنفترض أننا دعونا فريقًا من الفقهاء ثم أعددنا لهم مائدة شهية تضم بين جنباتها كل ما لذ وطاب من المآكل والمشارب. فلا شك أنهم –وخاصة في هذه الأزمة الآخذة بالخناق– ينزلون على اللحمة "حتتك بتتك ولا يفضلشي منهم ولا عضماية"، والواقع أنها تتكون من لفظتين قبطيتين وهيروغليفيتين هما (جات) قلب أو صدر وتعني جلد في المعنى المجازي، و(بات) ضلوع أو عظم، فيكون المعنى أنهم أكلوا اللحمة كلها مع العظم ولم يبقَ منهم شيء قط.

(هوب هوب.. يا زرع النوب)

والآن لنختتم هذا الفصل بالحديث عن الفلاح وعن البيئة التي يعيش فيها، والألفاظ التي يلوكها ويتغنى بها وهو في حقله.

ها هو الفلاح العزيز يروي أرضه بالشادوف في صبر وأناة وطول بال، خليق بوارث الفراعنة العظام وهو يترنم بأغنية محببة إلى النفس يعلو بها صوته وينخفض في شدو وهزيج حلو. فهو تارة يقول: "هوب هوب يا زرع النوب" وهو لا يدري أنه يغني بالقبطية واللغة المصرية القديمة حين يقول ذلك. ثم نراه يعقب عليها بتفسير لها باللغة العربية فيقول: "يا حالي يا حالي يا زرع الدهب" فهل دار في ذهن هذا الفلاح المجيد أن معنى ما يقوله هو: (أيها الشغل أيها الشغل أنت زرع الدهب أو أنت زرع تكسب دهب)؛ إذ أن (هوب) معناها شغل أو عمل أو حال و(نوب) معناها ذهب أو مال. فإذا فرغ من أنشودته الأولى بدأ الثانية وأخذ صوته يعلو مترنمًا: "هوب يا هوب قتلني الشوب"، و(هوب) كما قلنا كلمة قديمة معناها شغل أو عمل أو حال، أما (شوب) فمعناها الحرارة أو الحر، فيكون معنى الأنشودة: (يا حالي يا حالي قتلتني الحرارة أو الحر)، وهو يعني بذلك أن كثرة العمل قد زادت من حرارة الجو عليه وأورثته العناء والنصب. ولكن الفلاح المسكين رغمًا عن تعبه ونصبه لا يمل ولا يغفو، فهو يسهر على عمله مجدًا كادحًا ويستأنف أهازيجه مترنمًا فيقول: "هوبه هوبه ميت يوبه" فهوبه هي كلمة (هوب) السابقة ومعناها شغل أو حال، و(يوبه) هي كلمة (أويبه) القبطية والهيروغليفية ومعناها (ويبة)، فيكون معنى الأنشودة: (يا حالي أو يا شغلي هاتلي أو كسبني ميت ويبة غلة).

وهكذا يستمر الفلاح يكدح ويكد طوال يومه وهو فرح مستبشر، يغني غناءً طويلًا يستعمل فيه ألفاظًا وجملًا مصرية قديمة دون أن يدري، إلى أن يشتد به التعب أو تدركه ضربة الشمس فيصبح (جاي يا ولاد جاي يا

ولاد)، ثم يجلس ليستريح، فهو حتى في هذا الموقف لا ينفك يستعمل اللغة القديمة. فكلمة (جاي) هي كلمة قبطية وبالهيروغليفية (أوجا) ومعناها السلامة أو الخلاص أو الإنقاذ أو العافية أو النجدة، ونحن نستعملها الآن بهذا المعنى للاستغاثة وطلب المعونة أو السلامة أو الأمان.

وعندما يعود الفلاح إلى بيته مساءً وهو يسوق أمامه الحمير فهو يقول لها (عا)، وكلمة (عا) هي اللفظة الهيروغليفية والقبطية (عا)، ومعناها حمار.

من هذا كله يتضح لنا كم من مئات الألفاظ والتعبيرات العامية التي تجري على ألسنتنا كل يوم ترجع إلى أصل مصري قديم، وكيف اللغة القديمة منبثة بيننا يتناقلها الخلف عن السلف جيلًا بعد جيل، حتى وصلت إلينا تراثًا قديمصا يذكرنا بأجدادنا العظام.

## الفصل الرابع

# الأسماء المصرية القديمة الباقية في مصر للآن

- أسماء الأشخاص.
- أسماء الشهور.
- أسماء المدن.
- أسماء أدوات وأشياء.

## أسماء أشخاص موروثة

تناولنا في الفصل السابق طائفة من الألفاظ والتعبيرات المصرية القديمة، التي ظلت تتناقلها الأفواه من جيل إلى جيل حتى وصلت إلينا تراثًا قديمًا ما زلنا حريصين الحرص كله على المحافظة عليه، فشرحنا هذه الألفاظ وأوردنا عددًا كبيرًا من الأمثلة والجمل والمناسبات التي تستعمل فيها.

أما موضوع هذا الفصل فهو يتناول ناحية أخرى من نواحي هذا البحث، فإن لدينا مئات من الأسماء يرجع أصلها إلى اللغة المصرية القديمة، بعضها أسماء أشخاص، وبعضها أسماء أشهر، وبعضها أسماء مدن، وبعضها أسماء أدوات وأشياء نستعملها كل يوم في حياتنا العادية. هذه الآلاف من أسماء الشائعة في لغتنا الآن هي أسماء مصرية قديمة ما في ذلك من شك، وسنحاول في هذا الفصل بما نسرده من أمثلة أن نعطي القراء صورة واضحة بقدر الإمكان عما نريد.

من الأسماء الشائعة التي يتسمى بها الأقباط على الخصوص اسم (بانوب)، فهل فكر أحد في أصل هذا الاسم ومعناه؟ الواقع أن الاسم بجميع حروفه هيروغليفي وقبطي ينطق (بانوب) ومعناه (عبد الإله أنوبيس)، وأنوبيس هو إله التحنيط عند قدماء المصريين. وكذا الاسم الشائع (باهور) وأصله هيروغليفي وقبطي أيضًا ومعناه، (عبد الإله حور)،

والإله حور أو حوريس هو إله الشمس عند المصريين القدماء. أما اسم (تاييس) أو (تاييسي) فهو مصري قديم أيضًا ينطق (تاييسي) ومعناه (خادمة الإلهة إيزيس). وإيزيس هي إلهة السحر عند الفراعنة. أما من يتسمى باسم (باخوم) فهو يطلق على نفسه اسما قديمًا جدًا استعمل في عهد الفراعنة، معناه (عبد تمثال الإله)، ليس هذا فحسب، بل إن الاسم المعروف (بشاي) هو أيضًا هيروغليفي وقبطي معناه (عيد)، وكذا اسم (وانيس) هو الاسم المصري القديم (أوناس). أما اسم (مينا) الذي يستعمله الأقباط كثيرًا فهو اسم الملك (مينا) أول ملوك الفراعنة، وليس هذا هو العجيب، وإنما الأعجب منه أن الأقباط الذين دخلوا في الإسلام ترجموا أسماءهم القبطية إلى اللغة العربية ترجمة تكاد تكون حرفية، فمن كان اسمه (بشاي) سمى نفسه (عيدًا)، ومن كان اسمه (بشوي) سمى نفسه (بخيتًا). أما من كان اسمه (شنودة) فقد اختار أقرب الأسماء العربية إلى اسمه فأطلق على نفسه اسم (عبد الله).

## أسماء الشهور

للعامة منا أقوال تنساب بها ألسنتهم فتجري مجرى الأمثال، وهي تنطوي أغلب الأحيان على حكمة مأثورة أو قول بليغ، فما تكاد تذكر شهر (بابه) أمام أحد العوام حتى يقول لك مكملًا: "ادخل واقفل الدرابة"، أما إذا ذكرت شهر (هاتور) فإنه يقول: "أبو الدهب المنثور"، و(كياك) "اللي فيه صباحك مساك"، أما (طوبة) فهي "اللي تخلي العجوزة كركوبة"، و(أمشير) فإنه "أبو الزعابيب الكتير".. وهكذا. فهل فكر أحد

هؤلاء العوام وهو يسوق الأمثال والحكم في دعابة مليئة بخفة الروح والذوق السليم في أنه وهو يذكر أسماء هذه الشهور يستعمل ألفاظًا مصرية قديمة؟

فشهر (توت) معناه كما هو ظاهر "شهر الإله توت أو تحوت"، وتحوت هو إله السحر والحكمة والعلوم عند قدماء المصريين. أما (بابه) الذي يجب أن (تدخل فيه وتقفل الدرابة) فمعنى اسمه: شهر مدينة (آبه) أي مدينة الأقصر. أما شهر (هاتور) (أبو الذهب المنثور) فمعناه شهر الإلهة هاتور، وهاتور هي إلهة الحب والرقص والموسيقى عند الفراعنة. أما (كياك) "اللي فيه صباحك مساك" فمعناه عيد اجتماع الأرواح. و(طوبة) "اللي تخلي العجوزة كركوبة" معناه شهر القمح أو الحنطة. أما (أمشير) فهو شهر الإله (مشير) إله الريح والعواصف عند الفراعنة، فكأن العوام لم يخطئوا حين لقبوا (أمشير) بأبو الزعابيب الكثير. (وبرمهات) معنى اسمه شهر الملك (أمنحتب). و(برموده) معناه شهر الإلهة (رنوده) إلهة الحصاد والمحصول عند الفراعنة. أما (بشنس) فمعناه: شهر الإله (خنس) أحد آلهة الفراعنة. و(بئونة) معناه: عيد وادي الملوك. أما (أبيب) فأصله (أبيبي) ومعناه عيد الإلهة (أبيبي). و(مسرى) وأصلها مسرى أيضًا ومعناها شهر ولادة الإله (رع) إله الشمس عند المصريين القدماء.

## أسماء المدن

دعنا نغادر القاهرة في رحلة صغيرة إلى بلاد القطر وقراه، فنتعرف بأنفسنا إلى هذه البلاد وإلى مختلف أسمائها، ولتكن رحلتنا رحلة تعليمية مفيدة، ولنبدأها من القاهرة.

فعلى مقربة منا توجد (بولاق الدكرور). فهل تخيل أحد أن هذا الاسم مصري قديم هيروغليفي وقبطي؟ ينطق (بلاق دكرور) وهو مكون من كلمتين هيروغليفيتين: (بلاق) ومعناها جزيرة، و(دكرور) ومعناها ضفادع، فيكون معنى الاسم جزيرة الضفادع.

أما إذا احتجنا إلى القمح والغلال فإن ذهننا يتجه إلى أثر النبي، وأنت إذا ذكرت أثر النبي أمام امرأة من العوام قالت في الحال: "اللهم صلِّ عليك يا نبي". والواقع أن الاسم يبدو لنا عربي الأصل، بل وذا صلة بالنبي (ﷺ)، ولكن هذا الاسم خداع، إذ أنه يستر وراءه لا اسم النبي وإنما اسم معبودة مصرية قديمة هي الإلهة (هاتور)، إذ أن أصل الاسم الفرعوني هو (هاتور ننوب) ومعناه هاتور الذهب، خففه اليونان إلى (أتور ننوب)، وجاء العرب فحرفوه إلى: أتر (التي هي في الأصل أتور أي الإلهة هاتور) النبي (التي هي أصلًا ننوب أي الذهبي)، أما السبب في هذه التسمية القديمة فهو أن الإلهة هاتور كان لها معبد في هذه الجهة.

## سقارة وأبو صير

أما إذا كنا من المغرمين بالرحلات فإننا ننتهز فرصة عطلة يوم الجمعة ونخرج لزيارة المناطق الأثرية، فنذهب إلى سقارة لنرى الهرم المدرج والمقابر البديعة. فهل فكر أحد في أن اسم هذه المنطقة الذي ننطقه الآن (سقارة)، هو في واقع الأمر اسم قديم نسبة إلى الإله (سكر) أحد آلهة الموتى عند المصريين القدماء؟ أما إذا عزمنا في يوم ما أن نذهب إلى (أبو صير) لزيارتها، فلا يظن أحد أن هذا الاسم عربي، فإن كلمة (أبو) التي يبدأ بها الاسم خداعة؛ فأصل الاسم في الهيروغليفية (برأوصير) ومعناها: معبد الإله أوزوريس، لكن اللغة القبطية خففتها إلى (بوصيري)، وجاء العرب فأضافوا ألفًا إلى (بو) فجعلوها أبًا لهذا الصير! ولله الأمر من قبل ومن بعد.

أما تل بسطة أو (بوبسطه) فهو اسم قديم أصله (برباسطت) وبالقبطية (بوبسطي)، ومعناه: معبد الإلهة (باسطت). أما مدينة دمنهور فإن اسمها بكامل حروفه مصري قديم، وهو مكون من كلمتين هيروغليفيتين: (دمى) أي مدينة و(ن) أداة الإضافة و(هور) أي الإله حور أو حورس، فيكون معنى اسم دمنهور: مدينة الإله حورس. أما بسيون فهو أيضًا اسم بكامل حروفه هيروغليفي وقبطي معناه الحمام. وقد ترجمنا الاسم القديم وأضفنا الترجمة العربية إلى الأصل فنقول غالبًا بسيون الحمام. أما سندهور فهو اسم قديم أيضًا معناه: منشأة الإله حوروس. أما اسم بلدة (طحانوب) فهو الاسم الهيروغليفي (طحانوب) وصار في القبطية (طحانوب)، ومعناه معبد الإله (أنوبيس). أما (صفط) فإن اسمها مشتق من

اسم الإله المصري القديم (صبد). والفرما أصلها الهيروغليفي (برماعت) ومعناها معبد الإلهة (معت). و(سندبيس) معناها: منشأة الإله (بس). أما الفيوم فأصل اسمها الهيروغليفي (بيوم) ومعناها: (البحر)؛ لأن مياه الفيضان كانت تغمرها وتكون فيها برگًا، أهمها بحيرة موريس القديمة التي تركت جزءًا منها يعرف إلى الآن ببحيرة قارون.

## طما وأتريب وبلامون

أما طما التي اشتهرت بحادثة القنابل فأصل اسمها (حت طمت) ومعناه: معبد الإله (أتوم). أما طهطا فمعناها (معبد الأرض)، وأخميم معناها مدينة الإله (مين)، وقوص معناها الجبانة، أما دهروك فمعناها المعصرة، وبردنوها معناها: معبد شجرة الجميز.

أما أتريب وباليونانية (أتريبيس) فإن اسمها الهيروغليفي هو (حت هرايب)، وحرفت في القبطية إلى (هتريبي)، وهي التي صارت (أتريب) في التسمية الحديثة الحالية. ومعنى الاسم معبد الوسط أو المعبد الواقع في وسط الأرض.

أما اسم بلدة بلامون فأصله باللغة الهيروغليفية (بنامون) حرف في القبطية إلى بلامون بعد أن قلبت النون لامًا، ومعنى الاسم جزيرة الإله آمون. وآمون كان الإله الأعظم في عهد الدولة الحديثة، وكانت له معابد رائعة في جملة جهات، وأهمها معبد الكرنك ببلدة الأقصر.

أما بلدة الطيبة الواقعة على بعد ١٢ كيلومترًا إلى الشمال الغربي من مدينة الزقازيق، فأصل اسمها الهيروغليفي (بانفر)، ومعنى لفظة (بانفر) هو الطيبة أو الجميلة، أي القرية أو البلدة الطيبة. فكأن المصريين قد ترجموا الاسم الهيروغليفي إلى مقابله باللغة العربية تمامًا، واحتفظوا بالتسمية القديمة في أدق معانيها حيث تستعمل إلى الآن. أما مدينة الزقازيق نفسها فإن اسمها مأخوذ عن التسمية القبطية هي (جقاجيق) التي صارت في اليونانية زقازيق.

## تل الجراد وقابيل وكوم بره

وهناك أمثلة أخرى كثيرة من أسماء البلاد التي ترجم اسمها الهيروغليفي القديم ترجمة حرفية إلى العربية او العامية، ثم احتفظ بهذا الاسم حيث نستعمله الآن دومًا. فمثلا بلدة (تل الجراد) الواقعة على مقربة من أنشاص، أي إلى الجنوب الغربي من بلبيس كان اسمها الهيروغليفي معناه: حقل أو غيط الجراد، وهي تل الجراد المعروفة مترجم اسمها عن الهيروغليفية.

أما بلدة قابيل الواقعة إلى شمالي دمنهور فإن اسمها الهيروغليفي هو (قابين)، وقد قلبت النون لامًا وهذا كثير الحدوث، أما بلدة (كوم بره) بمركز إمبابة فإن اسمها الهيروغليفي هو (برى) أو (بره)، وقد يكون معنى الاسم معبد أره أو منزل الحارس.

أما بنها فإن أصل اسمها القبطي هو (بنهاو)، وهو يكاد يكون الاسم الحديث المستعمل الآن تمامًا. وكذا طوخ فإن أصل اسمها القبطي هو (طوخ) أيضًا، أي الاسم القبطي تمامًا بكامل حروفه دون إبدال أو تحريف.

وكان ينطق اسم شبرا بالقبطية شبرا (بكسر الشين، وهي أصلًا الجيم المعطشة جدًا) ومعنى اللفظة حقل أو غيط، وهي تدخل في أسماء بعض البلاد وخاصة في الوجه البحري، فلدينا: شبرامنت ومعناها شبرا الغربية، وكذا شبراخيت أي شبرا الشمالية أو البحرية، وهكذا. كما أن لفظة (ميت) ومعناها طريق، نجدها في أسماء كثيرة كميت غمر وميت برة وميت يزيد.. إلخ. وبالمثل في لفظة منيا ومعناها محطة، نجدها في أسماء بلاد كثيرة كمنيا القمح ومنيا السيرج.. إلخ. كما توجد أسماء حرفت لتتخذ شكلًا عربيًا مع أنها في الأصل يونانية، مثال ذلك أبو تيج مأخوذة عن لفظة (أبو تيكة) بمعنى مخزن، لأن المدينة كانت مخزنًا للغلال.

وأظنني لست في حاجة إلى تذكير القراء بأن كثيرًا من أسماء البلاد الأخرى، قد نقلت نقلًا كاملًا في لفظها ونطقها عن اللغة المصرية القديمة. مثل صهرجت وشطانوف وطره وحلوان ودفرة وتونة وباويط واللاهون وإسنا وأرمنت وأسوان وقفط.

## دندرة وأسيوط وأهناس

أما دندرة فاسمها الهيروغليفي (تندرر) وخفف في القبطية إلى (تنتره) وهو الآن دندرة. أما شطب بجوار أسيوط فاسمها الهيروغليفي (شسحتب)

أسقطت اللغة القبطية منها حرفي السين والحاء فصارت شطب، وهو الاسم المستعمل الآن تمامًا. أما أسيوط نفسها فإن اسمها بكامل حروفه هيروغليفي لم يدخله قلب ولا إبدال، فهو في الهيروغليفية والقبطية (سيوط) وأسيوط كانت عاصمة الولاية الثالثة عشر من ولايات الوجه القبلي.

أما أهناس (بني سويف) فاسمها الهيروغليفي (هنسو) والقبطي (هناس)، ومنها أهناس الاسم الحالي.

أما المنيا فأصل اسمها الهيروغليفي (منت) وهو مختصر من الاسم الكامل القديم (منيت خوفو)، الذي ورد في نقوش مقابر بني حسن ومعناه: مدينة مرضعة الملك خوفو، (وليس ميناء الملك خوفو كما ترجمه خطأً العالم أميلينو في كتابه عن جغرافية مصر في العصر القبطي). وهذا الاسم صار بالقبطية (منى) ومنه اشتق الاسم الحالي المنيا، وكانت المنيا في عصر أمراء بني حسن عاصمة للولاية بأجمعها.

والذين سمعوا منا عن بلدة بهبيت (بهبيت الحجر) بالقرب من سمنود (مديرية الغربية مركز طلخا)، لا يعرفون أن اسمها قديم أصله الهيروغليفي (برهبيت) ومعناه بيت الأعياد أو معبد الأعياد أو بيت قاعة الأعياد. وقد كانت بهبيت هذه إحدى مدن الولاية الثانية عشرة من ولايات الوجه البحري وكانت هذه المدينة مركزًا لعبادة الإلهة إيزيس التي كرست لها.

بل هناك ما هو أكثر من ذلك فإن الاسم الذي نطلقه على الواحة (وهي كما نعلم بقعة من الأرض خضراء مورقة في وسط الصحراء، تنبجس فيها عيون الماء والآبار)، نقول أن لفظة واحة هي مصرية قديمة (هيروغليفية). فهي تنطق بالهيروغليفية (وحات) وفي القبطية (واحه). إذ كانت واحات الداخلة والخارجة والبحرية.. إلخ معروفة لدى قدماء المصريين، وكانت ذات حضارة زاهرة تقوم في أرجائها المعابد والمساكن.

## الأشمونين وملوي ومنف

أما الأشمونين (مركز ملوي) فقد كانت تسمى بالهيروغليفية خمنو (خمون – شمون)، أي مدينة الثمانية معبودات، وبالقبطية شمون أو (شمون شمون) أي الأشمونين وهو الاسم الحالي. وقد كانت هذه البلدة قديمًا مقرًا لعبادة الإله تحوت إله العلم والحكمة والكتابة والسحر والحساب عند قدماء المصريين، كما كانت عاصمة الولاية الخامسة عشرة من ولايات الوجه القبلي.

أما ملوي فأصل اسمها بالقبطية منلوي ومعناه: مستودع الأشياء، ثم أدغمت النون في اللام وصارت ملوي. ويعتقد العالم الفرنسي الكبير ماسبرو أن الكلمة الهيروغليفية (مرى) وبالقبطية (مرو) وربما أيضًا (منلوي) هي أصل التسمية العربية لمدينة ملوي الحالية.

أما ميدوم فاسمها قديم، أصله بالهيروغليفية (مرتوم)، ومعناه حبيب الإله أتوم.

أما منف التي كانت عاصمة للولاية الأولى من ولايات الوجه البحري والتي سماها الأقباط (ممفي) والإغريق (ممفيس)، هذه المدينة العظيمة التي أنشأها أول ملوك مصر –ونعني به الملك مينا– وسماها الحائط الأبيض حينذاك، فإنها نمت وازدهرت حتى أصبحت في عصر الأسرة الرابعة عاصمة للبلاد جميعها ومقرًا لملك الفراعنة العظام، ثم أطلق عليها في عصر الأسرة السادسة اسم منفر؛ تذكارًا للملك بيبي الأول الذي سمي هرمه بصقارة بهذا الاسم. ومعنى اسم هذا الهرم الذي أطلق على المدينة بأكملها هو أن الطيبة ثابتة، فاسم منف هو كما يتضح مما ذكرناه الاسم القديم منفر بعد أن سقطت الراء في آخر الكلمة.

## بحيرة موريس وجزيرة فيلة

أما بحيرة موريس التي كانت تغمر جزءًا كبيرًا من مديرية الفيوم في قديم الزمان، وقد بقي جزء منها إلى الآن هو المعروف ببركة قارون، فإن اسمها (موريس) قديم أيضًا أصله مرأور ومعناه: البحيرة الكبيرة، أضاف له الإغريق (ايس) في نهاية الكلمة فصارت موريس.

أما جزيرة فيلة (أنس الوجود) التي سماها العرب في كتبهم بيلاق، فإن هذه التسمية مصرية قديمة. فهي في الهيروغليفية (براك) ومعناها جزيرة راك أو لاك. وفي القبطية (بيلاك) وفي اليونانية (فيلة).

أما تل البقلية (بمديرية الدقهلية مركز المنصورة) التي تقوم الآن مكان عاصمة الولاية الخامسة عشرة من ولايات الوجه البحري، فقد

كانت تسمى بالهيروغليفية (براقرت) أو (بقله) وهو الاسم الحديث بعد سقوط حرف الراء في وسط الكلمة.

أما طهنا (طهنا الجبل) –على مقربة من المنيا– فاسمها قديم أيضًا فهو بالهيروغليفية (طهن) وبالقبطية (طهنا)، ومعنى الاسم الجبهة المتقدمة؛ وذلك لوقوع المدينة على قمة هضبة صخرية.

هذه أمثلة من أسماء المدن التي ترجع أصولها إلى أسماء هيروغليفية وقبطية.

### أدوات تستعمل كل يوم

ليست أسماء الأشخاص ولا أسماء الأشهر القبطية، ولا أسماء كثير من المدن والعزب والكفور هي التي لا تزال باقية بيننا إلى الآن فحسب، بل إن هناك مئات من الأشياء والأدوات التي نستعملها كل يوم أسماؤها التي نعرفها بها مصرية قديمة. فمَن مِنا عند الأكل لا يحتاج إلى فوطه (بالقبطية فوطه)، ومن من سيداتنا (البلدي) لا يستملحن الجلوس على (البرش)، ومَن مِن السيدات (الشملولات) لا يعجن في (الماجور). ومن منهن تستحي أن تجلس أمام الفرن فتخبز وتخرج لنا العيش لذيذًا ساخنًا بـ(الشكور). فـ(الفوطة) و(البرش) و(الماجور) و(الشكور) (والأخير منها اسم للحديدة التي تستعمل في إخراج العيش من الفرن)، كل هذه أسماء قديمة لا تزال مستعملة في لغتنا العامية.

ونحن نقول الآن (شرش) جزر، و(لبشة) قصب، و(مشنة) عيش، و(زباطة) بلح، و(ويبة) قمح، و(أردب) فوق. فهل تظنون أن كلمة (شرش) أو (لبشة) أو (مشنة) أو (زباطة) أو (ويبة) أو (أردب) هي كلمات عربية أصلًا؟ كلا، فكلها أسماء قديمة تدل على نفس الأشياء التي كانت تدل عليها في الزمن القديم منذ عصور الفراعنة.

اشتهر فلاحنا من قديم الزمان بالصبر والجلد، فهو يشتغل طول يومه بـ(الطورية) و(الفاس)، فإذا حان وقت الحصاد جمع غلاله وأودعها في (الشونة)، أما التبن وما إليه فإنه يحمله في (الشنف)، ففي هذه العبارة القصيرة أربع كلمات قديمة، فـ(الطورية) أصلها (طوري)، و(الفاس) أصلها (فوسي)، و(الشونة) أصلها (شوني)، أما (الشنف) أو (الشنفة) وهي شبكة من حبال ليف النخل تستعمل لحمل التبن وما إليه فأصلها (شنوف).

## كلمات قديمة الأصل

وعلى ذكر الفلاح وأرضه التي يكد فيها ويكدح آناء الليل وأطراف النهار متمنيًا على الله أن يأتيه بالفرج، فنراه يقول: "والله دميرة السنة اللي فاتت غرقت البلاد، وإن شاء الله السنة دي تكون الدميرة عال". فلفظة دميرة هي الكلمة القبطية "دميره" ومعناها النيل أو فيضان النيل بزيادة أداة التعريف للمؤنث بأولها، وأصلها (ميري) أو (ميرا) وهي ترجع إلى أصل هيروغليفي هو (مر) بمعنى بحر أو مياه بحيرة. ولكن الفلاح المسكين

إذا كان عاثر الحظ فتأخرت عليه مياه الفيضان فهو يحفر في أرضه شيئًا يسميه الـ(حسى)، ولفظة (حسى) هي كلمة قبطية معناها البئر أو عين الماء أو الغور في الأرض ملآنًا بالماء. والفلاح يستعمل اللفظة إلى الآن بهذا المعنى نفسه. فإذا أدرك الفلاح التعب والنصب نراه وقد جف حلقه ينادي على ابنه فيقول: "يا واد يا مُحَمَّدين اجري هاتلي البكلة قوام، أحسن أنا ريقي نشف". فما هي هذه البكلة؟ هي لفظة قبطية معناها القلة أو الإبريق أو أي وعاء من الفخار يستعمل للشرب، (يلاحظ أن أداة التعريف (بي) مضافه في أول الكلمة). ونحن إذا سرنا في الحقول خصوصًا في الوجه البحري نسمع كثيرًا عن البشنين وزهره اللطيف. فالبشنين نبات مشهور اسمه قبطي هو (بشنين) كان يستعمله قدماء المصريين في أغراض كثيرة.

نسمع كثيرًا الفلاحين في حقولهم وهم يقولون: "احنا النهاردة عملنا في بحري وفي قبلي وبنروي الأرض كلها"، فكلمة (في) هي اللفظة القبطية (في) ومعناها مجرى أو قناة أو ترعة صغيرة. والآن لنترك الفلاح في حقله هادئًا مطمئنًا ولنتناول طائفة أخرى بالكلام، ولتكن طائفة المراكبية. فأنت إذا اقتربت منهم سمعت أحدهم يقول للآخر: " ياللا يا جماعة جرونا اللبان لحسن الريح معوق"، فاللبان في قولهم هذا معناه الحبل بالمركب، واللفظة قبطية تنطق (لبان) أيضًا.

أما عند طائفة البنائين فأنت تسمع أسماء كثيرة أصلها مصري قديم. يقول البناء لصبيه: "هات دبش ودقشوم يا جدع"، فكلمة دبش قديمة أصلها بالقبطية (دبش)، مركبة من (د) أداة التعريف من (بش) قطع

الطوب أو الحجر، ومعناها الطوب الصغير أو الحجر الصغير غير المنحوت. وهو إذا أراد المونة للبناء قال للفاعل: (هات مونة يا واد قوام من الملطم، أهو الملطم مش بعيد"، فكلمة ملطم قبطية تنطق (منطم) بمعنى مكان العجن أو الخلط، أي المعجنة التي يخلط فيها القصرمل أو الجير بالماء والرمل وما شاكل ذلك؛ ليستعمل ملاطا (مونه) في البناء.

من هذا كله نرى كم من مئات الأسماء التي تجري على ألسنتنا كل يوم ترجع إلى أصل مصري قديم، وكيف ظلت هذه الأسماء والجمل والتعبيرات –شأنها في ذلك شأن العادات القديمة– منبثة بيننا يتناقلها الخلف عن السلف جيلًا بعد جيل، حتى وصلت إلينا تراثًا قديمًا يذكرنا بأجدادنا العظام.

# الفصل الخامس

# القصص المصرية القديمة الباقية في مصر إلى الآن

- قصة مهرجان الإله آمون بالأقصر.
- قصة معبد قفط.
- معبد دندرة والكنز المخبوء.
- قصة المقريزي عن قرية أتريب.
- (بؤرة العيال) والغولة.
- الديك الذي يلتمع في عينيه بريق.

## مهرجان الإله آمون

تحدثنا في الفصول السابقة عن طائفة من العادات والألفاظ والأسماء التي نراها ونسمعها كل يوم، منتشرة بين الآلاف من المصريين والعوام، وأوردنا من الأمثلة والقرائن ما يؤيد أن عددًا كثيرًا منها ورثناه ضمن التركة النفيسة التي خلفها لنا المصريون القدماء.

أما موضوع هذا الفصل فهو يتناول ناحية أخرى من نواحي هذا البحث، فلدينا الآن عدة قصص وأساطير، ظل الأحفاد يتناقلونها عن الأجداد والخلف عن السلف حتى وصلت إلينا صورًا خالدة حية، تذكرنا بما كان يقوم المصريون الأقدمون بعبادته من آلهة، وما كان يحتفل به الفراعنة من مهرجانات دينية.

يعلم كل من زار الكرنك (بالأقصر) أنه توجد إلى جوار المعبد الرئيسي أطلال بحيرة ما زالت مغمورة بالماء، هذه البحيرة كانت في قديم الزمن مقدسة، كيف لا وقد كانت مسرحًا لأهم احتفال ديني، احتفال مدينة طيبة على بكرة أبيها بعيد الإله آمون السنوي، حيث كانت تخرج السفن المقدسة من المعبد، وهي تحمل تماثيل الإله المقدسة ورموزه الخفية، فتجري في مياه هذه البحيرة المقدسة يحيط بها كهنة الإله، وحملة المشاعل والبخور، وهم ينشدون أغانيهم الدينية ويرتلون أدعيتهم بصوت تزيده قوة الدين ورهبته مهابة ووقارًا.

هذا المهرجان الذي كان يرأسه الملك، ويشترك في إقامته الشعب كان عظيمًا فخمًا، له كل أبهة الاحتفالات المقدسة الكبيرة، وكان يستغرق النهار كله وجزءًا من الليل، وعندما تقارب الحفلة الإنتهاء، كانت تعاد تماثيل الإله إلى معبدها، وتترك السفن مربوطة إلى شاطئ البحيرة، حيث تظل باقية في مكانها إلى السنة التالية.

هذا هو مهرجان الإله الأكبر آمون إله طيبة، عندما كانت الأقصر الحالية مهدًا لأقدم حضارة عظيمة رآها التاريخ، أي عندما كانت الأقصر قاعدة لذلك الملك الزاهر الذي تألق نجمه؛ فجعل من مصر كعبة يحج إليها كل من رغبت نفسه في الاغتراف من بحار العلم ومناهل الحضارة، أما الآن فماذا بقي من كل ذلك؟ سؤال سوف نعطيك عنه الجواب.

## السفينة الذهبية

اجلس إلى أحد أهالي الأقصر وأعره أذنًا واعية، وسله أن يقص عليك نبأ (الذهبية الغريبة)، فإنه لا شك محدثك في بلاغة وإسهاب عن قصة طريفة، ليس لي الآن في روايتها غير فضل التلخيص والتعليق.

فهو يؤكد لك ما يعرفه من أمر هذه السفينة الذهبية، التي تخرج من مياه هذه البحيرة المقدسة في بعض الليالي متألقة كالشمس، وعليها ملك من الذهب الخالص يسير دفتها، وإلى جانبه بحارة من الفضة، فإذا أرسل القمر ضوءه سارت السفينة تتهادى، تاركة وراءها خطًا طويلًا من الأحجار الكريمة، فإذا دار الحظ دورته أرسل إنسيًا مجدودًا يعلم كيف يحفظ سر

السفينة، فيسير إلى جانبها صامتًا هادئ الفؤاد، فإذا اقتربت من الشاطئ صعد إليها في غفلة من راكبيها، فاغترف منها ما يشاء، وانقلب إلى بيته راجعًا وقد جمع من الخيرات ثروة الكنوز، هذا إذا كان مجدودًا، على أن هناك من عاثري الحظ من رأى السفينة فهاله الأمر فصاح، فاختفت السفينة بملكها وبحارتها، وانشقت مياه البحيرة فابتلعته.

وأنت إذا جابهت محدثك بعدم التصديق، أو إذا هو شعر منك بشيء من ذلك، فهو لا يدعك في شكك وإنما يسترسل في حديثه؛ ليعطيك مثالًا واضحًا أكيدًا مستشهدًا بشخصيات يؤيد بها دعواه.

فهو يقول لك أن أحد أعيان الأقصر الغابرين، واسمه (دياب تمساح) كان يمر في إحدى الأمسيات إلى جانب البحيرة المقدسة، فإذا بموسيقى ساحرة تطرق أذنيه آتية من بعيد، وإذا بهذه الموسيقى تقوى وتقترب، وإذا بسفينة من الذهب تتألق في الظلام، وإذا جميع المظاهر تدل على أن هذه الليلة هي ليلة مهرجان عظيم.

يقترب (دياب تمساح) من السفينة شيئًا فشيئًا، ثم ينبطح على الأرض ليرى، فيرى عجبا. يرى الملك الذهبي ثملًا، وقد أحاطت به بحارته، ومن حوله نساء جميلات يرقصن رقصًا بديعًا فاتنًا، ثم يبدأ الغناء، فإذا بدأن سمع صوتًا شجيًا بلغ من حسنه ورقته أن أثار في نفس (دياب تمساح) كامن شجونه، وإذا به يصيح "الله.. الله" مستحسنًا مشدوهًا.

هنا ينقطع الغناء ويأمر الملك أن اقطعوا قيود السفينة، فتختفي الذهبية ويعود (دياب تمساح) إلى صوابه، فيجد بقية الحبل الذي كان يربط السفينة إلى الشاطئ، فيأخذه هو والوتد والقدوم الذي استعمل لتثبيته وينطلق إلى منزله، فإذا وصله نظر إلى ما أحضره فإذا به من الذهب الخالص، وإذا بـ(دياب تمساح)، وقد أصبح بين عشية وضحاها من سراة البلد، بل أكبر أثريائها.

فأنت حين تسمع هذه الأقاصيص من أهالي الأقصر وهم يروونها مصدقين مؤمنين بصحة ما جاء فيها، فأنت دون شك راجع بذاكرتك إلى الإله آمون وسفينته المقدسة، التي كانت تخرج حاملة تمثال الإله فتسير ومن حولها الكهنة وفرعون والشعب مهللين مكبرين في عيدهم السنوي.

## قصة معبد قفط

وليست هذه القصة هي كل ما تسمعه من الأقاصيص، فهناك أقصوصة أخرى منتشرة في قفط، أثبتها المقريزي في تاريخه، تتلخص في أن المعبد الموجود بهذه البلدة تقوم على حراسته فتاة سوداء، تحمل على ذراعيها طفلًا رضيعًا أسود اللون مثلها، وأن هذه الفتاة ومعها طفلها ترى في كل ليلة ترتاد هذه المناطق.

فإذا نحن طبقنا هذه القصة الغريبة على معلوماتنا التاريخية لوجدنا أن قفط (وهي كبتوس القديمة) كانت مركزًا لعبادة الثالوث المقدس الذي كان يتكون من الإله مين والإلهة إيزيس والطفل حوريس. فهذه الفتاة وطفلها

إن هي إلا إيزيس وطفلها حوريس على ذراعها، كما نرى ذلك في آلاف التماثيل التي عثرنا عليها، والتي يوجد الكثير من أمثالها بالمتحف المصري. فذكرى الإلهة إيزيس وطفلها حوريس، ظلت باقية آلاف السنين، تتناقلها الأجيال وتتوارثها الأحفاد حتى وصلت إلينا شبحًا غامضًا نستطيع أن نتبين من خلاله –رغم غموضه– صورة الإلهة وابنها الرضيع، وهي صورة معروفة لنا تمام المعرفة كما بينا.

## الكنز المخبوء

على أن هناك أقصوصة طريفة ثالثة يرويها لك أهالي دندرة عن معبد هذه الجهة، فهم يذكرون لك وهم يتهامسون، أن ملكًا من ملوك العهد القديم، عاش ومات منذ آلاف السنين، كان غنيًا جدًا، وقويًا جدًا، وأنه أراد قبل موته أن يجد لأمواله حرزًا مكينًا، فابتنى في أرض هذا المعبد نفقًا كدس فيه أمواله وذخائره، وأقام عليها بقرة تقوم بحراستها، بقرة شديدة البأس عظيمة القوة والمراس، تلتفظ عيناها شررًا يتطاير. هذه البقرة كانت تختفي أثناء النهار وتظهر في الليل؛ حيث تظل متنقلة بين أرجاء المعبد وعيناها تراقب الكنز الذي أقيمت على حراسته ليل نهار، بذا بقي الكنز آلاف السنين محفوظًا مصانًا يهاب أهالي الجهة الاقتراب منه، خوفًا ورعبًا من بطش هذه البقرة العظيمة.

غير أن مزارعًا كان له حقل بجوار هذا المعبد قد زرعه عدسًا، فلما اشد العدس ونما، كان يلاحظ هذا الرجل أن عدسه ينقص في كل ليلة،

وكأن يدًا كانت تمتد إليه في الظلام، فربض الرجل في ليلة مستخفيًا ليرى السارق، فإذا بتلك البقرة العظيمة السوداء ترعى في حقله وتأكل ما طاب لها، فغضب الرجل وانصرف إلى منزله، وطفق يفكر حتى هداه فكره إلى أن يصمد في الليلة التالية بسيفه للبقرة فيقتلها حين تجترئ على اقتحام حقله.

انصرف الرجل في الليلة التالية إلى الحقل لينفذ عزمه، وبقي جاثمًا إلى أن أتت البقرة، وفي سرعة البرق طرأت على عقله فكرة جديدة. لماذا يدخل في معركة حامية الوطيس مع هذه البقرة الشديدة البأس، ولماذا لا ينتهز فرصة انشغالها بالأكل عن حراسة الكنز فيذهب إليه ليغترف منه ما يشاء له الحظ الحسن الذي هداه إلى هذه الفكرة الموفقة؟!

أطلق الرجل إذن لساقيه العنان، فدخل المعبد واقترب من الكنز، واغترف منه ما ملأ به زكيبته، وبينا هو كذلك، إذ ارتجت جدران المعبد بأصوات عدو قوية، وإذا بالكنز يرتج بابه، وإذا بالبقرة تظهر غاضبة منكرة، وإذا بصاحبنا الفلاح يعدو وينطلق فيخرج من المكان وهو لا يزال حاملًا زكيبته.

وصل الفلاح إلى منزله يلهث، ففتح بابه وأفرغ ما في زكيبته في إناء كبير كان يحتفظ فيه ببعض ماله، وحفر للإناء في أرض الغرفة وأبقاه مدفونًا تحت الأرض، بعيدًا عن الأعين، مستخفيًا عن الأنظار.

ظل كنز الرجل مختفيًا عن الأعين زمنًا، إلى أن أتى وقت الحاجة إذ طرق بابه محصل الأموال الأميرية يطلب دفع قسط الأرض السنوي،

فأمهله الرجل إلى اليوم التالي، وذهب إلى منزله ليخرج كنزه، فوجده سليمًا لم تمسسه يد منذ وضعه، فقلب الرجل يده في الإناء ليستخرج منه ما يريد، فإذا بالإناء يغوص في الأرض كلما امتدت يداه إليه، وإذا هو يحاول إدراكه فيعسر عليه الأمر ويختفي الإناء بما فيه. هنا يبكي الرجل ويندب حظه؛ ليس لأنه فقد كنزه فحسب، بل لأنه فقد أيضًا ما كان مع الكنز من نقود كان يدخرها من عرق جبينه.

هذه الأقصوصة تسمعها من المئات من أهالي دندرة، وهناك من يؤكد لك أنه سمعها من ابن هذا الرجل نفسه

فهذه القصة على ما فيها من غرابة تفسيرها سهل، وأمرها ليس من التعقيد بحيث تعتبر بعيدة عن حد الإدراك؛ فنحن نعلم أن معبد دندرة كانت تعبد فيه الإلهة هاتور، وهاتور تظهر في شكل بقرة، وهناك آلاف الرسوم تمثل الإلهة في هذا الشكل نجدها مرسومة على جدران هذا المعبد وغيره من المعابد، فهذه الأسطورة التي يدور فيها الحديث عن بقرة تتولى حراسة الكنز، إن هي إلا (هاتور) إلهة المعبد، حارسته وربته، الذي بني المعبد من أجلها واتخذ مقرًا لعبادتها.

فإن نحن عجبنا اليوم، فلسنا نعجب من الأقاصيص نفسها وما فيها من مستغربات، وإنما يحق لنا أن نعجب من هؤلاء القوم الذين أمكنهم أن يحتفظوا بأشباح الآلهة الفرعونية التي كانت تعبد في هذه الجهات، ناسجين حولها القصص والأساطير التي ظل الأحفاد يتناقلونها عن الأجداد،

والخلف عن السلف، حتى وصلت إلى عصرنا الحديث صورة حية ناطقة بما كان يقوم المصريون الأقدمون بعبادته من آلهة، وما كان يحتفل به الفراعنة من مهرجانات دينية.

لننتقل الآن إلى مدينة الأقصر وإلى المهرجانات التي كانت وما تزال تقام فيها إلى الآن، والأقصر حديثها عجب، يعادل في عجبه أهمية الآثار العجيبة التي تضمها هذه المدينة.

## مهرجان أبي الحجاج

يعلم كل من زار الأقصر أن المدينة تقدس أبا الحجاج وتتخذ منه حاميها وسيدها الأكبر، فسيدي أبو الحجاج له في هذه المدينة صفة القداسة، وقد شيد مقامه ومسجده على ركن من فناء معبد الأقصر. وليس الغريب هو وجود مسجد لسيدي يوسف أبي الحجاج بالأقصر، ولكن الغريب هو أن يبنى هذا المسجد على ركن عالٍ من معبد الإله آمون بالأقصر، وأن يضم هذا المسجد إلى أجزائه ساحة يوضع فيها قارب أبي الحجاج أو سفينته، وأن يكون حلول سيدي أبي الحجاج بمعبد آمون الذي انتزعه منه قد جعله خليفة له، يرث عنه ما له من صفات وما اشتهر عنه من مناقب، وما عليه من واجبات وما له من حقوق وعادات. وكما كان الإله آمون في زمن الفراعنة يخرج في احتفال مهيب من معبده مرة في العام في سفينته المقدسة، فيطوف في أرجاء مدينته التي يتولاها بحمايته ورعايته، فإن سيدي أبا الحجاج يخرج هو أيضًا مرة في كل عام في اليوم الرابع عشر

من شهر شعبان المكرم، فيطوف في مدينته المحبوبة الأقصر في احتفال يتضمن أكبر عيد محلي يقام في هذه البلدة.

ومهرجان سيدي أبي الحجاج بالأقصر يبدأ الاستعداد له قبل موعده بأسبوعين، فتقام حلقات الذكر في ميدان الساحة على مقربة من المسلة التي تقوم أمام معبد الأقصر. وأنت ترى في أثناء النهار سلسلة من الاستعراضات الجذابة يشترك فيها أعيان البلد وسراته، وقد امتطوا جيادهم المطهمة التي لبست زخرفها وازينت، على حين أمسك راكبوها بعصيهم الطويلة (النبابيت)، وهم يقومون بحركات مثيرة وبألعاب الفروسية بجيادهم التي تركض ثم تتراخى، تجري ثم تتمهل، تثب ثم تقف، كل ذلك يجري والموسيقى تعزف ويتعالى صوتها فيثير الناس والجياد جميعًا.

فإذا انتقلت من هذا المشهد وقع بصرك على مشهد آخر، ترى فيه فريقًا من الرجال وقد استداروا في شبه حلقة يتبارزون بالنبابيت، والكل في فرح وبهجة يمرحون. فإذا أرخى الليل سدوله رأيت مشارب القهوة (القهوات) وقد امتلأت بقاصديها، يلعبون الطاولة ويدخنون الشيشة (النرجيلة) ويمتعون أنظارهم برقص الراقصات وعبثهن بريئًا وغير برئ. ثم تراهم وقد انتشوا بما شربوه وزادهم غناء المغنيات هيامًا على هيام، فترى الجمع وقد اتخذ صورة تذكرنا بما أورده المؤرخ هيرودوت في كتابه عن تاريخ مصر، حين وصف حفلات بوبسطة (تل بسطة) وما كان يتخللها من قصف وعبث يقام كله تكريمًا للإلهة باستت (ديانا)، بكل الأبهة التي يمكن أن نتصورها عن احتفالات المصريين القدماء، ثم لا تسل عن النبيذ الذي

كان يجرى أنهارًا ويزيد مقدار ما يشرب منه في ليلة واحدة عن كل ما يشرب في أنحاء مصر على مدار السنة، على حد قول هيرودوت.

فهذه الحفلات الراقصة يتخللها الغناء والعبث والشراب لا تفترق في شيء، سواء أقيمت الآن لسيدي أبي الحجاج أم أقيمت في عهد الفراعنة تكريمًا للإلهة باستت، ثم تظل هذه الحفلات تتنوع من يوم إلى يوم ومن ليلة إلى أخرى، وفي كل يوم يزيد شوق الشعب وتتعدد حفلات الذكر، وتقع الأبصار على طائفة من الاستعراضات الجذابة، على حين تقوم الراقصات بعملهن في همة لا تعرف الكلل. فإذا أشرقت شمس اليوم الثالث عشر من الشهر فأنت لا ترى في ضواحي الأقصر وما يحيط بها من قرى أو بلدان إلا العجزة ومن قعد به المرض، أما الباقي فقد نزحوا إلى الأقصر يحتلفون بالوقفة، وقفة العيد الكبير لسيدي أبي الحجاج حامي الأقصر وسيدها.

وإنك لواجد منذ الصباح الباكر هذا الجمهور الحاشد، وقد غزا الأسواق يشتري من اللحوم كميات هائلة، حتى ليبلغ عدد الذبائح التي تنحر من عجول وأبقار وخراف في السلخانات في هذا اليوم رقمًا يفوق حد الوصف.

ولا عجب في ذلك، فإن أهالي الأقصر قد اعتادوا أن يستضيفوا من جاء حاجًا إلى بلدهم. فهناك المآدب تقام واللحوم والثريد يقدم والجماعات، وقد ضاقت بهم البيوت فجلسوا في حلقات وطوائف في

الطرقات أمام المنازل وهم يأكلون ويشربون، على حين يتكفل القمر بمهمة الإضاءة فيرسل نوره باهرًا ساطعًا يضيء على الجمع، وقد اكتمل نوره في تلك الليلة فأصبح بدرًا. وهكذا ينقضي الليل في عيد يفيض بالفرح والمرح والسرور حول المسجد، وقد تلألأ بالأنوار والكل في انتظار المهرجان الكبير الذي يبدأ ببدء ظهور بشائر اليوم الجديد.

وفي خلال هذا كله يكون قارب أبي حجاج قد دهن بالطلاء فعاد جديدًا يلمع ويتألق، وقد زينته خطوط أفقية ثلاثة تتعاقب فيها من الألوان الأزرق ثم الأبيض ثم الأحمر، فتكسبه رواءً على رواء وجمالًا على جمال.

فإذا حل موعد الموكب أخرج القارب ثم وضع على عربة ذات أربع عجلات، وقد غطى هذا كله بقماش ملون هو الذي كان يغطي مقبرة أبي الحجاج. أما الأقمشة التي تغطي المقابر الخمس الباقية فإنها تفرش على ظهور خمسة جمال تكون قد اتخذت زخرفها وازينت، أما من يمتطي ظهور هذه الجمال فهم أعضاء أسرة الحجاجية.

وهكذا يكتمل الجمع عند المسلة التي تقوم أمام معبد الأقصر، أي عند ميدان الساحة وفقًا للتقاليد، ويتكون الجمع من اثنين من ضابط البوليس وعشرة من رجال السواري وخمسين من جنود المشاة، يلي ذلك الجمال الخمسة مزدانة بأجمل زخرف وزينة وقد غطيت ظهورها بالأقمشة الملونة التي كانت تغطي قبور الأولياء، ثم هي تحرك رءوسها ورقابها مزهوة فتدق الأجراس الصغيرة المشدودة إليها، وتتيه رءوسها بريش جميل علق

إليها، على حين يهلل الرجال الذين امتطوا ظهور الجمال مكبرين بلا إله إلا الله.. الله أكبر.. الله أكبر، ويرتفع صوت مؤذن المسجد داعيًا الناس إلى الصلاة على النبي، وحمد الله والثناء عليه.

ويتلو ذلك مشايخ الطرق وأعضاء أسرة أبي الحجاج، وقد حمل كل فريق منهم علمًا ذا ألوان متعددة، وكلهم ينشدون أناشيدهم في الإشادة بذكر أبي الحجاج ومسجده. وفي وسط جلبة الأناشيد والتصفيق والتهليل والتكبير وإطلاق البنادق يتقدم قارب الولي في هدوء وتمهل تحيط به الأعلام، ويجتاز هذا الجمع الحاشد الذي يبلغ منه الفرح مبلغًا يفوق حد الوصف، حتى لنراه يندفع إلى القارب يحاول لمسه للتبرك به وبقداسته.

وهكذا يتقدم الموكب ويسير متمهلًا تارة وموقفًا تارة أخرى يعترضه فريق من الناس من حين إلى حين، وهم يرقصون أو يذكرون الله. ثم هو يتوقف عند كل مقام لولي من الأولياء ليقرأ الناس الفاتحة ويثنون على الله، وعلى وليهم أبي الحجاج الذي يزور زملاؤه الأولياء.

فأنت ترى من هذا كله أن يوسف أبا الحجاج شأنه في ذلك شأن الإله آمون إله الفراعنة الأقدمين، يعتبر نفسه حامي البلدة وحارسها الأكبر، وهو يخرج في كل عام في الرابع عشر من شهر شعبان ليطوف حول الدور التي يسكنها خلفاؤه وأحفاده والمؤمنون به؛ لكي يتأكد من ولاء الشعب له وإيمانهم به، فإذا وثق من هذا وإذا ارتاح إلى أحوال رعاياه

واطمأن إلى إخلاصهم له، عاد إلى بيته آمنًا مطمئنًا يملأ نفسه شعور الزهو والنصر.

فهذه الصورة التي عرضناها هي صورة قد نجد لها أصلًا فيما نعرفه عن الإله آمون وسفينته المقدسة، وفيما ورد ذكره عن المهرجانات الفخمة التي تقام له في هذا المكان. ونحن إذا رجعنا إلى النصوص الهيروغليفية وجدناها تشيد بما وهبه الملك للمعابد من هبات وفيرة، تتضمن الذهب واللازورد وطائفة من الأحجار الكريمة، ثم مجموعات وافرة من الأقمشة الثمينة الفاخرة والزيوت والطيوب والبخور، ثم يستطرد النص فيقول على لسان الملك: "وقد قام جلالتي ببناء السفن المقدسة التي تصبح على وجه الماء، وقد بنيت من خشب السنط وغطيت الذهب الوهاج". هذه النصوص نجدها بكثرة على جدران معابد الكرنك، وهي التي كان يحلو للملك أن يعدد فيها ما قام به من أعمال بالكرنك، ومن هبات قدمها للإله آمون ملك الآلهة.

والواقع أن هذه السفينة المقدسة، التي بنيت من خشب السنط وغطيت بالذهب وأعدت لكي ترسو أمام المعبد كانت تلعب دورًا هامًا في الطقوس الدينية التي تقام في طيبة (الأقصر الحالية). كيف لا وهي التي كان يخرج عليها الإله هو وأسرته في أيام المهرجانات الفخمة، فيطوف بها أرجاء البلدة إلى أن يصل إلى معبد الأقصر. ومن حسن الحظ أنه توجد لدينا نقوش على جدران هذا المعبد تبين تفاصيل هذا الاحتفال الهام في عصر الفراعنة.

ها نحن نرى القوارب المقدسة محمولة على أكتاف فريق من الكهنه حليقي الرءوس وها نحن نراهم يضعونها في السفينة المقدسة الكبيرة الراسية أمام المعبد على مقربة من مسلات الجرانيت الضخمة، وها نحن نرى الملك وهو يحرق البخور أمام الإله آمون وزوجته موت وابنهما خنسو، ثم ها هو يصاحبهم في رحلتهم على النيل على حين نرى الشعب وقد امتلأ حماسة وحمية يتهلل فرحًا وقد بلغ هتافه عنان السماء، وها نحن نرى النبلاء يعتلون عرباتهم والجنود تتتابع صفوفهم وتتوالى، والأعلام والبنود، عسكرية ودينية، ترتفع وتتماوج على حين يرقص الزنوج فتصدر عن النواقيس الصغيرة المعلقة إلى رقابهم رنين جلجلة خفيفة. ويزيد المنظر عجبًا ما يقوم به المهرجون واللاعبون من حركات القفز والنط، متفقة ومنسجمة مع أصوات الجلاجل المقدسة التي تحركها الكاهنات في أيديهن. وهكذا يتحرك الموكب بطيئًا متمهلًا يغمره فيض من البهجة والسرور، حتى يصل إلى ضواحي معبد الأقصر ويسير بين صفوف من التجار الذين كدسوا فواكههم وخضرهم ولحومهم، ثم تشق القوارب الصغيرة المقدسة طريقها داخل المعبد فتقدم لها القرابين العظيمة ويدخل الملك إلى الهيكل فيطلق البخور ويتعبد إلى التماثيل الموضوعة فيه. فإذا تم لهم هذا فثمة فترة يقضيها الجمع في الراحة، فإذا استراح عاد الموكب بنظامه السابق وسارت السفينة الكبيرة بالآلهة في طريق العودة إلى أن تصل إلى الكرنك. وهنا يكون الآلهة قد استراحوا واطمأنوا إلى أن كل شيء في بلدتهم يسير على ما يرام، فيدخلون إلى هياكلهم آمنين مطمئنين.

فما أشبه الليلة بالبارحة، وصدق من قال: "لا جديد تحت الشمس".

وهناك من هذه الأقاصيص الشيء الكثير.

## قصة المقريزي عن بلدة أتريب

ذكر المقريزي عن بلدة أتريب قولًا غريبًا، فهو يقول أنه في اليوم الثاني عشر من شهر بابه في كل عام تظهر على مذبح أحد الأديرة القديمة حمامة بيضاء تظل محمومة عليه فترة من الزمن، ثم تختفي ولا تظهر إلا في مثل هذا اليوم من السنة التالية. فهذا القول ينطوي في حقيقة الأمر على ظاهرة غريبة؛ فإن العملة الأثرية الرومانية الخاصة بمدينة أتريب تحمل صورة طائر ظنه كثير من العلماء يمثل حمامة، ولكنه في الواقع يمثل باشقًا غطى رأسه بالتاج المزدوج، فإذا رجعنا إلى معلوماتنا التاريخية لوجدنا أن مدينة أتريب القديمة كان يعبد فيها الإله حورس الذي يظهر في شكل صقر (باشق)، ومن هنا نستطيع أن نفسر قول المقريزي ونفهمه. فالحمامة البيضاء هي الإله حورس الذي على شكل صقر يعود ليزور مدينته التي كان يعبد فيها.

وإلى القراء قصة أخرى.

**(بؤرة العيال) و(الغولة)**

يوجد على مقربة من معبد الكرنك معبد صغير للإله بتاح، اشتهر بأنه مقر غولة فظيعة وأن هذه الغولة تأكل الأطفال. وقد نشأ هذا الاعتقاد من أنه خلال حفائر كانت تجري هناك، انهارت بعض أتربة الكوم فدفنت سبعة أطفال صغار ماتوا ولم تظهر جثثهم أو عظامهم بعد ذلك على الإطلاق. ومنذ هذا الوقت سمي معبد بتاح: (بؤرة العيال) حيث يوجد كهف الغولة التي التهمتهم حينذاك. وقد بلغ من اعتقاد الأهالي في صحة هذا الزعم أنهم يتحاشون ما أمكن المرور في هذا المكان المشئوم ليلًا، فإذا اضطر أحدهم إلى ذلك اعترته رعدة من الخوف وأخذ يتلو وهو يمر بالمكان كل ما يحفظه من تعاويذ؛ يتقي بها شر الغولة وعفاريت الأطفال الذين ماتوا. وفي الواقع فإنه قد كشف في هذا المكان بعد فترة من الزمن عن تمثال للإلهة سخمت من الجرانيت الأسود داخل مقصورة تقع ضمن هذا المعبد. وكل من رأى الإلهة سخمت (ورأسها رأس لبؤة) يذكر أي منظر مخيف تثيره في النفس، حين تبرز من الظلام متوجة بقرص الشمس، وهي تتجه إلينا ممسكة بعمود من زهر البردي يتفتح بين نهديها المتجردين. هكذا بدأت الالهة تظهر وتبرز كلما عملت يد عمال الحفائر في الكشف عنها، مما جعل العمال تنعقد ألسنتهم من الدهشة وهم يرون الغولة تظهر من بين أطباق الثرى فتزيدهم رعبًا على رعبهم.

فقصة هذه الغولة التي تأكل العيال تتفق تمامًا مع ما نعرفه عن الإلهة سخمت وأسطورتها. فهذه الإلهة هي التي أرسلها (رع) لتعمل في الناس

ذبحًا وتقتيلًا جزاءً على سخريتهم به، فظلت تلغ في الدماء بعد أن استطابت منظرها، واضطر رع بعد أن أخذته الرحمة والشفقة على الجنس البشري أن يصطنع لها خمرًا تشرب منه فتنتشي وتنسى ما هي فيه من قتل ودماء، فتقف عن عملها الممقوت. فطبيعة (سخمت) كإلهة للقتل والتدمير في الأسطورة المصرية القديمة التي تعرف بهلاك البشر، تتفق تمامًا مع القصة الشائعة الآن التي تلقبها بالغولة تأكل العيال.

## الديك الذي يلتمع في عينيه بريق

وليست الإلهة سخمت فحسب هي التي تبعث الرعب في نفوس الفلاحين في أقاصيصهم الحديثة، فإن المسعودي قد ذكر في كتابه مروج الذهب قصة طريفة يرويها عن عصره ترينا إلى أي حد حافظ الناس مع مضي هذه الأزمان الطويلة على ذكرى الآلهة الأقدمين التي كانت تعبد في هذه الجهات. يقول المسعودي أن والي مصر عبد العزيز قد علم بوجود كنز في تل عالٍ، فبدأ يحفر في هذه الجهة إلى أن كشف عن رأس ديك يلتمع في عينيه بريق يشبه البرق يأخذ بالأبصار، وما لبث هذا الديك أن رفرف بأجنحته وصاح صيحة مدوية اهتزت لها أركان المكان وهاجت الأرض وماجت، ثم انفتحت ثغرة فيها ابتلعت كل من كان في المكان، وعددهم يناهز الألفين من العمال والرؤساء. ولما رأى عبد العزيز ذلك استولى عليه الرعب وترك البحث والتنقيب. وهناك قصص كثيرة من هذا النوع تسمعها في كل جهة من جهات الصعيد. وإحدى هذه القصص تقول أن فريقًا من الفلاحين حاول مرة أن يقتحم خرائب بني حسن،

وبينما هم يرفعون حجرًا إذ وقف أمامهم حارس الخرائب، وهو ديك بعينين براقتين لم يكد يصيح حتى انفتحت الأرض وابتلعتهم دون أن يظهر لهم أثر بعد ذلك.

ويروى أن طائفة من الفلاحين كانوا يذهبون كل عام إلى الأشمونيين ليبحثوا عن السباخ، وخطر لهم في مرة أن يذهبوا إلى المعبد ليبحثوا في خرائبه عن الكنوز التي يصورها لهم خيالهم الخصب، وبينما هم يحاولون في أحد الأيام أن يهدموا جدارًا إذ ظهر لهم ديك ارتجت لظهوره أركان المكان وهاجت الأرض وماجت، وانطبقت الخرائب على هؤلاء اللصوص فدفنتهم في بطونها.

فهذا الديك الذي يظهر فينكل بمن تحدثه نفسه بالاقتراب من المعابد والآثار، هذا الحارس الأمين يمكن أن يفسر على أنه الإله حورس، أي الباشق معبود بني حسن أو الإله تحوت أي الأبيس معبود الأشمونيين. فالمزارعون وقد اعتادوا رؤية الطيور يهملون في التمييز بينها ويخلطون، ثم هم يرون في نهاية الأمر التماثيل القديمة للطيور المقدسة أو جثثها المحنطة فيظنونها هذه الديكة المقدسة، التي تقوم على حماية المعابد وما فيها من كنوز مصر القديمة.

### بوابة (عيطالله) بالكرنك

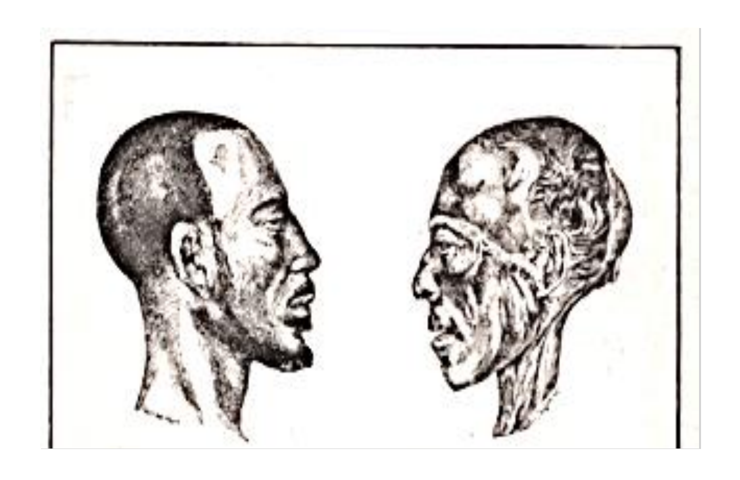
والآن لنعد إلى الأقصر مرة أخرى ولنقف لحظة أمام معبد خنسو بالكرنك، فإننا لا شك واجدون أمامه البوابة العظيمة التي أقامها

بطليموس أورجيطة، ولكن هذه البوابة لا تعرف بهذا الاسم عند العوام ومن على شاكلتهم من الأهالي، وإنما يسمونها بوابة عيطالله؛ لاعتقادهم أن عيطالله كان يتخذ لنفسه منزلًا يقيم فيه فوقها. وأنت إذا سألت أحد الأهالي عن عيطالله هذا، أجابك بأنه قزم مشوه الخلقة، عجيب الهيئة والتركيب، يراه الفلاحون أحيانًا في المساء فتأخذهم رعدة الخوف، فإذا استوضحته الأمر قال لك وهو يرتعد أنه رجل قصير القامة ولكنه ممتلئ الجسم، له وجه عريض وعينان براقتان وأنف أفطس ولسان يتدلى من فمه، أما ذراعاه فطويلان وساقاه فيميلان إلى القصر وهو يجري هنا وهناك ويصرخ بين آونة وأخرى في حنق وغضب، فإذا سمعته الحيوانات ولت هاربة من وجهه وأخذت الكلاب تجري صامتة إلى حيث تختبئ، ولجأ كل إنسان إلى بيته ليتقي شره.

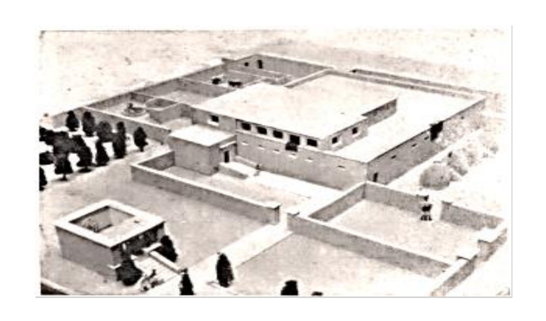
فهذه القصة الغريبة إذا حللناها وطبقناها على ما نعرفه من المعلومات التاريخية، لوجدنا أن عيطالله هذا إن هو إلا الإله المصري القديم (بس) بشكله المشوه وبلسانه المتدلي، وقد نسج الأهالي حوله هذه الأسطورة التي ظلت متداولة يتناقلها الخلف عن السلف.



فلاحة مصرية تشبه في تقاطيع وجهها ملكًا مصريًا

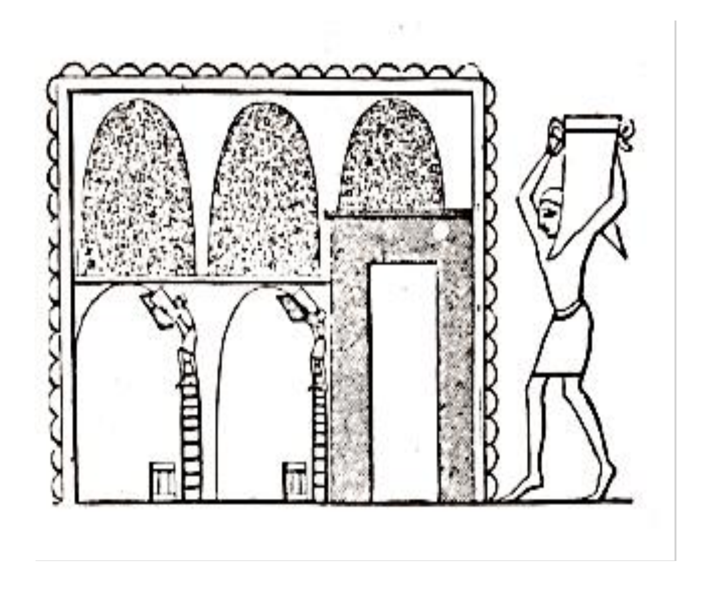


رأس مومياء من طيبة فلاح من الوجه القبلى

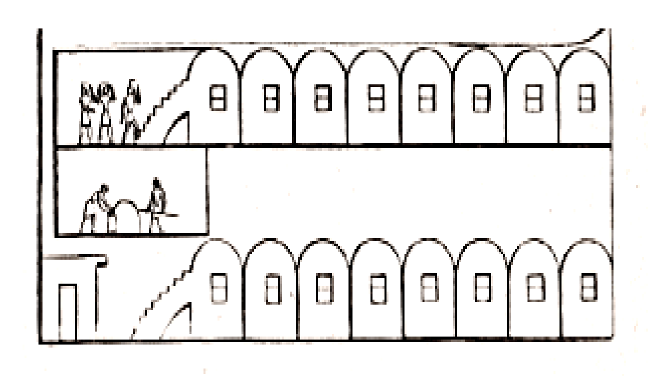


نموذج لمنزل مصري قديم، تلاحظ فيه النوافذ الصغيرة العلوية والصوامع. وفي الصورة السفلى مشهد لقرية، ومنازل مصرية حديثة.



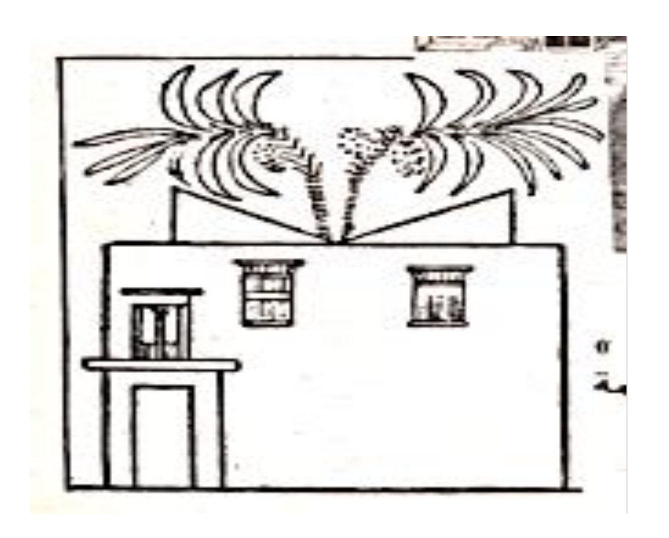


مخازن للغلال في مصر القديمة، ويلاحظ أن (الصوامع) المنتشرة الآن في القرى المصرية شديدة الشبه بها.

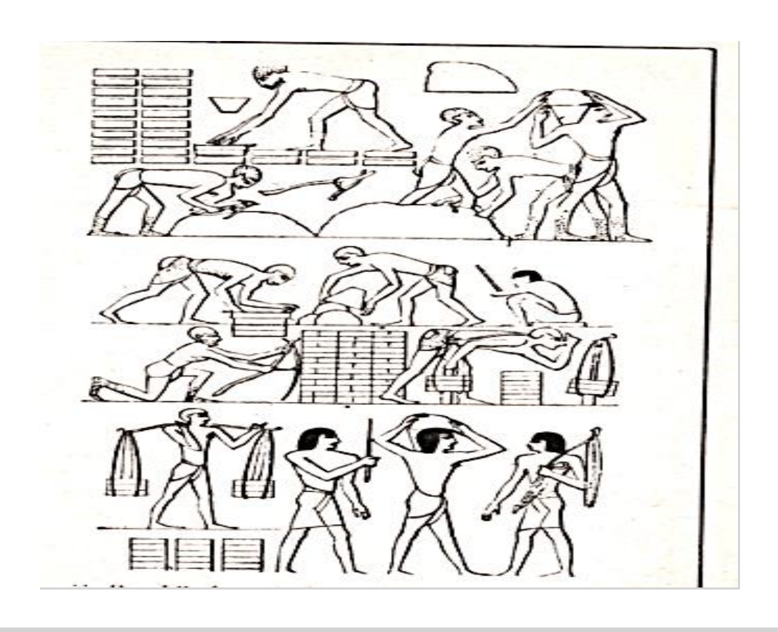




كانت (الملاقف) شائعة عند المصريين القدماء، يثبتونها بأسطح المنازل لتواجه الريح الشمالية التي تتسرب منها إلى داخل المنزل، ويرى إلى أسفل أحد هذه المنازل بسطحه (ملقفان) وهذه (الملاقف) تشبه نظيراتها في منازل الطراز العتيق في مصر الآن، كما يرى في الرسم الأيمن.



رسم تخطيطي يمثل (الملاقف) فوق أسطح المنازل المصرية القديمة.



تمثل هذه اللوحة طريقة صناعة اللبن (أي الطوب المجفف في الشمس) في مصر القديمة. وهي نفس الطريقة التي نصنع بها اللبن الآن، ونستخدم فيها نفس القوالب الخشبية.



المحراث الذي كان يستخدم في مصر القديمة.



المحراث الذي يستخدمه الفلاحون في القرى المصرية الآن، وهو صورة طبق الأصل من المحاريث المصرية القديمة.



المذراة المستعملة الآن شديدة الشبه بالمذراة التي كان يستعملها المصريون القدماء في التذرية. لاحظ منظر كيل الحبوب والرجل الذي يشرب من (قربة) معلقة بالشجرة.



المنجل المصري القديم هو بنفسه المنجل المستعمل حتى الآن في قطع سيقان النباتات وحصد حقول الغلال في القرى.



لفيف من المصريين القدماء يحصدون القمح بالمنجل.



عبادة الأشجار في مصر القديمة، فلاح يقدم القرابين لشجرة الجميز (عن ماسبرو).



كما كان يفضل المصريون القدماء من المغنين والعازفين العميان الذين لا يبصرون، فإننا لا نزال حتى الآن نفضل من المقرئين كفيفي البصر.



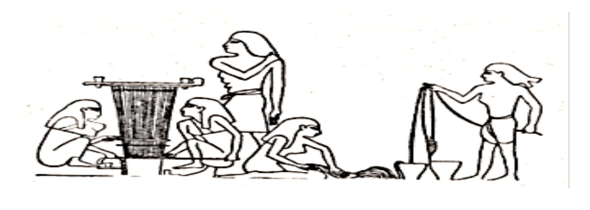
الشادوف الذي نستعمله الآن هو نفس الشادوف المصري القديم، كما يتبين من مقارنة الرسمين (الأعلى يمثل الشادوف الحديث، والأسفل يمثل الشادوف القديم).





كان المصريون القدماء يعبدون الأشجار، وتمثل الصورة العليا أحد الموتى وزوجته أمام شجرة برزت منها الإلهة (هاتور) وهي تقدم لها مائدة عليها قرابين، كما كانوا يقدمون القرابين للثعابين (الصورة السفلى).

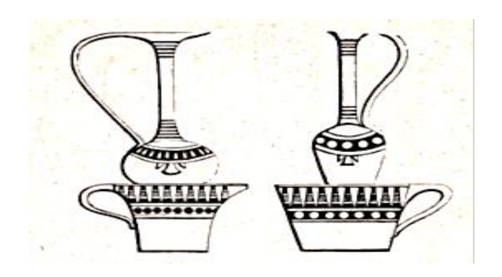




مغزلنا الحالي الشائع في القرى يشبه المغزل المصري القديم، وكذلك (النول) لا يختلف عن (الأنوال الفرعونية).



جباة الأموال في مصر القديمة، وقد طرحوا أحد الفلاحين أرضًا وأوسعوه ضربًا حتى يؤدي ما عليه من ضرائب، أفلم يكن هذا هو النظام المتبع حتى عهد قريب؟



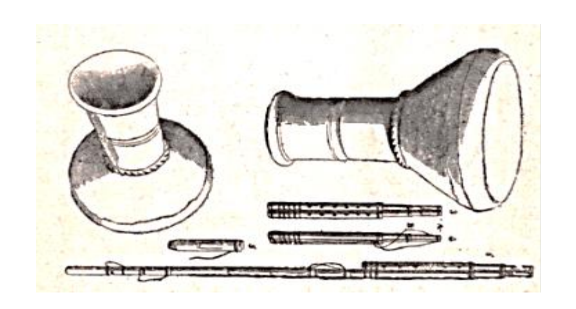
نموذج من الطست والإبريق المستعملين عند المصريين القدماء للاغتسال.



الطست والابريق المستعملان الآن لغسل الأيدي قبل تناول الطعام، ما أشبههما بما كان يستعمله المصريون القدماء!



غناء مصري قديم، لاحظ المغني الذي يضع يده على خده، والمزمار المصنوع من الغاب، والتصفيق بالأيدي لمصاحبة الغناء والرقص، و(الطرقعة) بأطراف الأصابع.



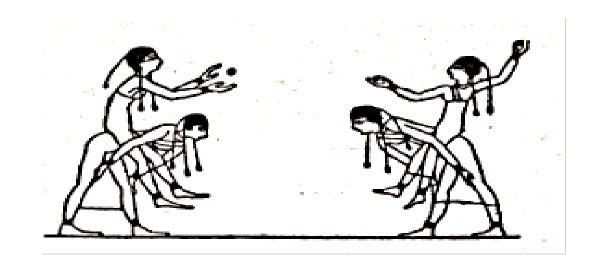
المزمار الحديث يشبه المزمار الفرعوني.



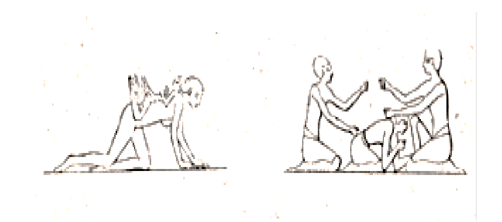
جمع الضرائب في مصر القديمة. في القسم الأيمن كتاب، وفي الأيسر عمال المالية يحضرون الأهالي لدفع ما يستحق عليهم من الضرائب تحت تهديد العصا.



ما أشبه القلم الذي يضعه كتاب الفراعنة خلف آذانهم –كما يرى في الصورة– بما يفعله (الصراف) الآن.



لفيف من الفتيات يلعبن الكرة.



إلى اليمين صبي يخفي وجهه في حجر آخر إلى أن يعرف الضارب فيحل محله، وإلى اليسار لعبة (جمال الملح) وهي من الألعاب التي يتسلى بها الفلاحون مع أولادهم.



ألعاب أطفال ما يزال أطفالنا يمارسونها.



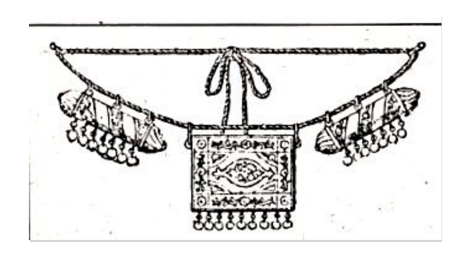
حلاق مصري قديم يزاول عمله بنشاط في الهواء الطلق.



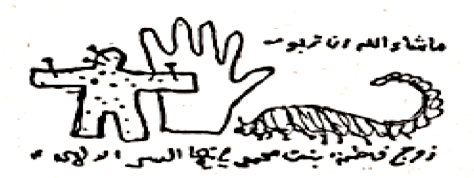
ما أشبه حلاق القرية الآن بالحلاقين في مصر القديمة.



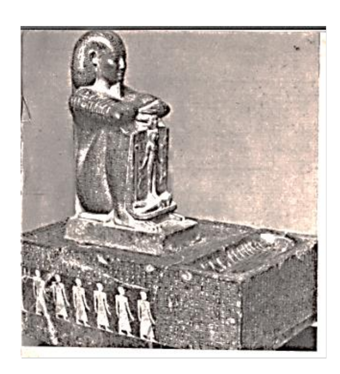
الأحجبة والتمائم والتعاويذ وحفلات (الزار) –كما نراها في مصر الآن– انحدرت إلينا من عهود الفراعنة.



التمائم والتعاويذ و(الأحجبة) في مصر الآن شديدة الشبه بالتمائم المصرية القديمة، وما أشبه (العروسة الورق) التي توخز بالإبر الآن بما كان يحدث قديمًا!



ولعنا بالتمائم والتعاويذ التي نحملها أو نعلقها الآن في رقاب الأطفال عادة ورثناها عن أجدادنا القدماء، الذين كانوا لا يسيرون خطوة إلا والتمائم ترافقهم وتحميهم.



الساحر (زحر) وقد نقشت على تمثاله صيغ سحرية كان يصب عليها ماء يتجمع في حوض أمامه.



ما أشبه إناء توت عنخ آمون وما به من تمنيات بـ(طاسة الخضة) الآن.



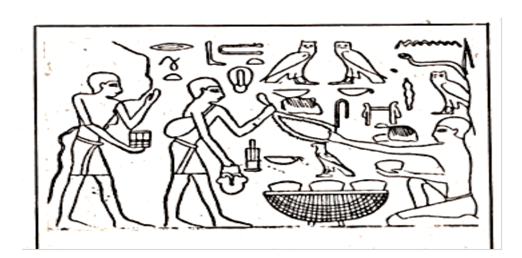
كان المصريون القدماء يجلسون على الأرض أثناء تناول الطعام، ويأكلون بالأيدي ويشربون من أوانٍ فخارية، كما يفعل الكثيرون من الفلاحين اليوم في غالبية القرى.



ما أشبه هذه المروحة التي يمسك بها الرجل الذي يشوي الإوزة (الموضوعة في سفود الشي) بمروحة الكبابجي التي نستعملها الآن!



سوق حديثة، ما أشبهها بأسواق مصر الفرعونية!



مشاهد من سوق مصرية قديمة.



ما أشبه اليوم بالبارحة!



كان الفراعنة يحملون سعف النخل عند الذهاب إلى المقابر، وهذا ما نفعله حتى اليوم.



كاهن مصري قديم يصب ماءً مقدسًا على حزم البصل وينشر حوله البخور، فلا عجب إذا علقنا البصل الآن في ليلة (شم النسيم) فوق الأماكن التي ننام فيها.



(ندابات) و(معددات) في مصر القديمة، يقرعن الدفوف والطبول عند حدوث الوفاة، وقد ورثت القرويات هذه العادة عن جداتهن في مصر القديمة.



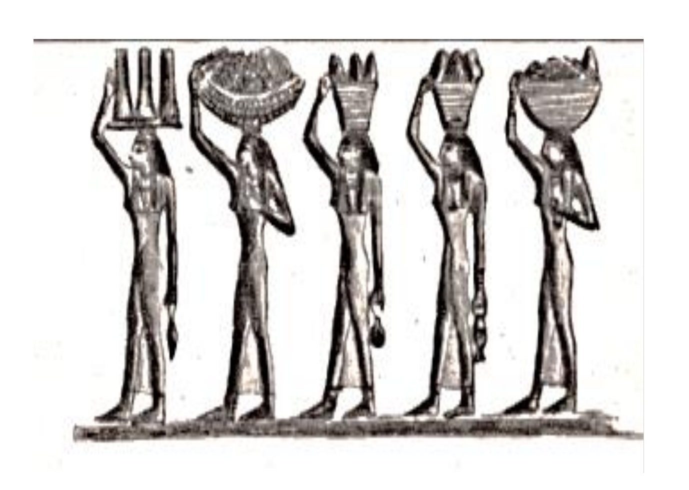
نساء من العصر الفرعوني، يلطخن وجوههن ورءوسهن بالطين عند حدوث الوفاة، كما تفعل بعض النسوة الآن.



إذا حدثت الوفاة الآن في بعض القرى، تخرج النساء من المنازل ويتجولن في الطرقات صارخات مولولات.



وفي مصر القديمة، كانت النسوة أيضًا يخرجن من بيوتهن، ويقمن بجولات في الطرقات مولولات صارخات.



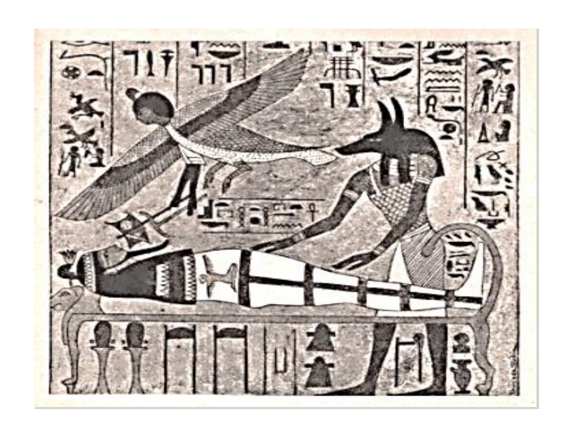
**عند الفراعنة كانت النساء في مصر القديمة يخرجن إلى المقابر في المواسم والأعياد، وقد حملن السلال على رءوسهن وقد تكدست بالقرابين، وهذا ما تفعله القرويات أيام (الطلعة).**



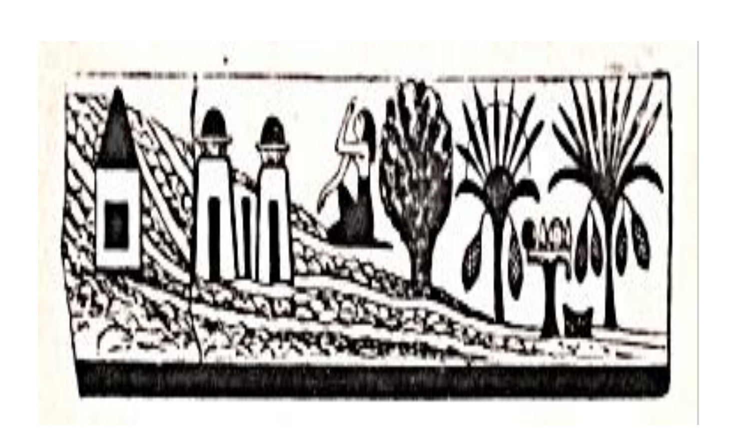
**قروية معاصرة.**



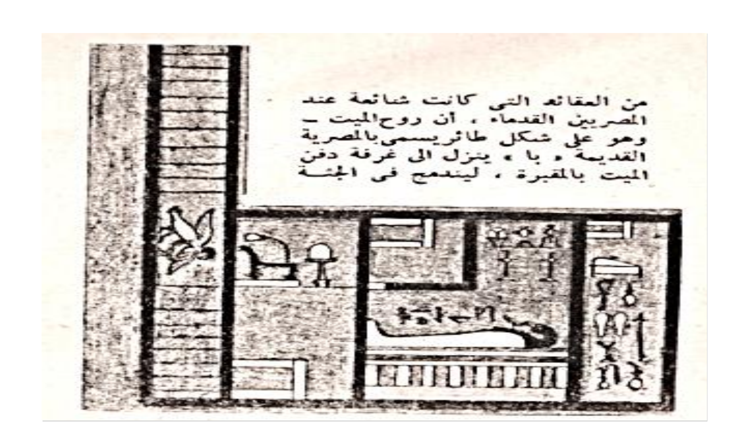
تنحر الآن الذبائح بالقرب من المقبرة أو تحت نعش الفقيد، ويرى في الجزء الأسفل من الرسم، لفيف من المصريين القدماء وهم ينحرون الذبائح أيضًا عند باب المقبرة.



روح الميت على شكل طائر يزور الجثة ويرفرف حولها، وكثيرون من القرويين عندنا ما يزالون يعتقدون أن أرواح الموتى ترفرف على شكل طيور حول مقابر أصحابها.



زوجة تندب فقيدها أمام باب المقبرة في مصر القديمة، والآن تزور النسوة المقابر ويقضي بعضهن إلى جانبها أيامًا.




من العقائد التي كانت شائعة عند المصريين القدماء، أن روح الميت –وهي على شكل طائر يسمى بالمصرية القديمة (با)– ينزل إلى غرفة دفن الميت بالمقبرة، ليندمج في الجثة.



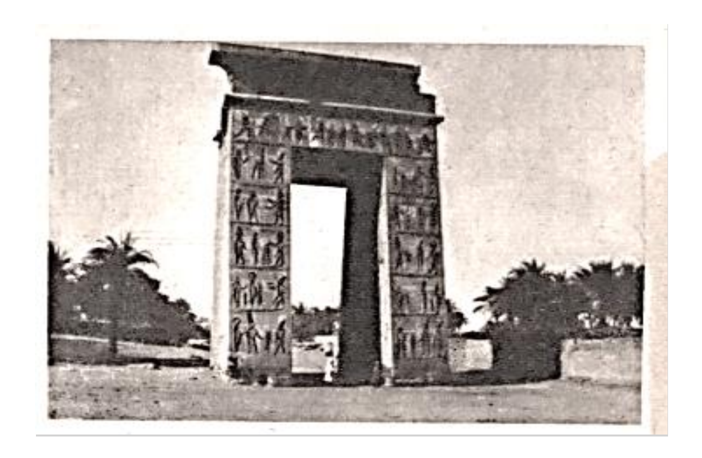
الكاتب المتربع في جلسته التي نجلسها الآن.



سفينة الإله (آمون) خارجة من معبد الكرنك، وفيها تماثيل الإله المقدسة استعدادًا لوضعها في البحيرة المقدسة في مهرجان عظيم، لا تزال ذكراه باقية بين أهالي الأقصر.



سفينة (سيدي أبو الحجاج) على عربة تخرج في احتفال سنوي كبير بالأقصر، كسفينة آمون في عصر الفراعنة.



بوابة معبد (خنسو) بالكرنك، يسميها العوام بوابة (عيطالله)، ولهذه البوابة قصة ما يزال العامة يروونها.



معبد الأقصر، يقوم على جانب منه مسجد أبي الحجاج، حيث يوجد قاربه الذي يخرج في احتفال مهيب، يذكرنا بقارب الإله آمون وطريقة الاحتفال به يوم إخراجه من المعبد.




تنتشر بين أهالي (دندرة) قصة عن بقرة تحرس كنزًا، والغالب أن هذه القصة من بقايا أساطير معبد دندرة الذي كانت تعبد فيه وتقوم على حراسته الإلهة (حتحور) وهي على شكل بقرة، وترى إلى اليسار الإلهة (سخمت) صاحبة قصة (الغولة).

# الفهرس

الفصل الثاني



الفصل الثالث